

بساط الريح



# بساط الربيح

تأليف  
كامل كيلاني



رقم إيداع ١٦٩٩٩ / ٢٠١٢  
تدمك: ٩٧٨ ٩٧٧ ٧١٩ ٠٣٩٨

**مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة**

جميع الحقوق محفوظة للناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة  
المشهرة برقم ٨٨٦٢ بتاريخ ٢٠١٢/٨/٢٦

إن مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره  
وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه

٥٤ عمارات الفتح، حي السفارات، مدينة نصر ١١٤٧١، القاهرة  
جمهورية مصر العربية

تليفون: +٢٠٢ ٢٢٧٠٦٢٥٢      فاكس: +٢٠٢ ٣٥٣٦٥٨٥٣

البريد الإلكتروني: [hindawi@hindawi.org](mailto:hindawi@hindawi.org)

الموقع الإلكتروني: <http://www.hindawi.org>

---

رسم الغلاف: حنان بغدادي.

جميع الحقوق الخاصة بصورة وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي  
للتعليم والثقافة. جميع الحقوق الأخرى ذات الصلة بهذا العمل خاضعة للملكية  
العامة.

Cover Artwork and Design Copyright © 2011 Hindawi

Foundation for Education and Culture.

All other rights related to this work are in the public domain.

## المحتويات

٧	تَمَهِيدُ الْقِصَّةِ
٩	الفَصْلُ الْأَوَّلُ
١٩	الفَصْلُ الثَّانِي
٣٧	الفَصْلُ التَّالِثُ
٤٧	الفَصْلُ الرَّابِعُ
٥٥	الفَصْلُ الْخَامِسُ
٦٧	الفَصْلُ السَّادِسُ
٨١	الفَصْلُ السَّابِعُ



## تَمْهِيدُ الْقِصَّةِ

أَيُّهَا الْفَارِيُّ الصَّغِيرُ:

مَا أَكْثَرَ مَا تَحْوِيهِ بِلَادُ الْهِنْدِ الْعَظِيمَةِ مِنْ بَدَائِعِ الْأَثَارِ، وَعَجَائِبِ الْأَحَادِيثِ وَالْأَخْبَارِ، وَرَوَائِعَ الْأَسَاطِيرِ وَالْأَسْمَارِ.

وَقَدْ رَأَيْتَ — فِيمَا قَبَسْتُهُ لَكَ مِنْ قِصَّصِهَا — أَلْوَانًا شَائِقَةً، وَفُنُونًا رَائِعَةً، أَطْمَعْتُكَ فِي طَلْبِ الْمَزِيدِ.

وَلَيْسَ أَبْهَجَ إِلَيْكَ قَلْبِي مِنْ تَلْبِيةِ رَغْبَتِكَ، وَتَحْقِيقِ أُمْنِيَّتِكَ، وَإِجَابَتِكَ إِلَى طَلْبَتِكَ.  
وَقَدْ اخْرَتُ — فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ — أُسْطُورَةً مِنْ أَشْهَرِ أَسَاطِيرِهَا، وَرَهْرَهَةً مِنْ أَنْضَرِ أَزَاهِيرِهَا؛ لِتَرَى فِيهَا آيَةً مِنْ آيَاتِ الْهِنْدِ الْفَرِيدَةِ، وَرَائِعَةً مِنْ حِكْمَهَا الرَّشِيدَةِ.  
وَإِلَيْكَ مَا أَبْتَهَ رَأْوِيَ هَذِهِ الْأُسْطُورَةِ، قَالَ: عَاشَ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ، سُلْطَانٌ عَظِيمٌ الْقَدْرِ وَالشَّانِ، اسْمُهُ السُّلْطَانُ «مَحْمُودٌ».

كَانَ السُّلْطَانُ «مَحْمُودٌ» مَعْرُوفًا — بَيْنَ سَلَاطِينِ الْهِنْدِ وَمُلُوكِهَا — بِالذَّكَاءِ وَنَفَادِ الرَّأْيِ وَبَعْدِ النَّظَرِ وَرَجَاحَةِ التَّفَكِيرِ، وَبِرَاءَةِ التَّدْبِيرِ.

وَكَانَ — إِلَى هَذِهِ الْخَصَالِ الْحَمِيدَةِ — مَفْتُونًا بِاقْتِنَاءِ التُّحَفِ النَّادِرَةِ، كَلَفَهُ ذَلِكَ مَا كَلَفَهُ مِنْ جَهْدٍ وَمَالٍ.



## الفصل الأول

### (١) أولاد السلطان

كان للسلطان «محمود» أولاد ثلاثة:

أولهم: «حسين»، وكان أكبر أولاد السلطان.

وثانيهم: «علي» وهو أوسطهم.

وثالثهم: «أحمد» وهو أصغر أولاده.

وقد عني السلطان «محمود» بتنشئة أولاده أكرم تنشئة، كما عني بتنقيفهم — مذبذب طفولتهم — وتحبيب فنون العلم وضرور الرياضة والصيد والرماية إلى نفوسهم، وترغيبهم في افتقاء نوادر التحف والأثار، وبذل الجهد والمال في جلبها، والظفر بها. فلما عجب إذا شب الامرأ على غرار أبيهم، وتشبهوا به، وساروا على نهجه، وارتسموا خطاه.

وكانوا ثلاثة كأنما يتساقبون في الكنسات المعارف التي تنمو بها مداركهم وتنتفق ملكاتهم، وتُصبح نظراتهم للحياة والمجتمع نظارات عميقة صارقة، بيد أنهم كانوا في تسايقهم يتزاولون، ويتبادلون المعلومات والأفكار، بروح طيبة عاملة بالمحبة والمودة والأخلاق.

## (٢) بِنْتُ الْعَمِّ

كَانَ لِلْأَمْرَاءِ التَّلَاثَةِ: أَبْنَاءِ السُّلْطَانِ، بِنْتُ عَمٍّ ذَكِيَّةً حَسْنَاءً، تُدْعَى: «نُورُ النَّهَارِ». كَانَتِ الْأَمْيَرَةُ «نُورُ النَّهَارِ» - فِيمَا يَقُولُ رُوَاةُ هَذِهِ الْأَسْطُورَةِ الْمُبَدَّعَةِ - آيَةً مِنْ آيَاتِ اللهِ فِي جَمَالِ الْخَلْقِ وَالْخُلُقِ، وَكَمَالِ الْفَضْلِ وَالْعَقْلِ. وَقَدْ مَاتَ أَبُوهَا الْأَمْيَرُ «مُحْسِنُ»: شِقِيقُ السُّلْطَانِ «مَحْمُودُ»، بَعْدِ وِلَادَتِهَا بِأَسَابِيعٍ قَلِيلَةٍ، وَكَانَ الْأَمْيَرُ «مُحْسِنُ» أَصْغَرَ مِنْ أَخِيهِ؛ فَوَرَثَ السُّلْطَانُ «مَحْمُودُ» - بَعْدَ وَفَاهُ أَخِيهِ - تُحَفَّهُ النَّادِرَةُ وَأَمْوَالَهُ وَتَرَوْتَهُ، وَكَفَلَ ابْنَتَهُ. لَمْ يُقْصِرِ السُّلْطَانُ «مَحْمُودُ» فِي الْعِنَاءِ بِتَنْشِيَّةِ الْأَمْيَرَةِ «نُورِ النَّهَارِ» وَتَتْقِيفِهَا؛ وَاحْتَصَّهَا مِنْ رِعَايَتِهِ بِمِثْلِ مَا احْتَصَّ بِهِ أُولَادُهُ مِنْ سَهْرٍ وَاهْتِمَامٍ، وَإِعْزَازٍ وَإِكْرَامٍ. وَلَمْ يَتَوَانَ عَنْ تَحْقِيقِ رَغْبَتِهَا وَأَمَانِيَّهَا، وَبَدِلَ أَقْصَى مَا يَسْتَطِيعُ فِي تَوْفِيرِ رَاحَتِهَا، وَالْإِشْرَافِ عَلَى ثَقَافَتِهَا؛ حَتَّى فَاقَتْ أَمِيرَاتٍ عَصْرِهَا عِلْمًا وَفَضْلًا، وَفَهْمًا وَعَقْلًا؛ فَزَادَتْ هَذِهِ الْخِلَالُ النَّبِيلَةُ مِنْ مَحَبَّةِ الشَّعْبِ، وَضَاعَفَتْ مِنْ إِجْلَالِهِ وَاحْتِرَامِهِ، كَمَا مَلَأَتْ بِالْإعْجَابِ قُلُوبَ أَعْيَانِ الْمُمْكِنَةِ وَسَرَاتِهَا، وَأَمْرَاءِ الْمَمَالِكِ الْأُخْرَى وَأَمِيرَاتِهَا.

## (٣) حَيْرَةُ السُّلْطَانِ

مَرَّتِ الْأَيَّامُ، وَالشُّهُورُ وَالْأَعْوَامُ. كَبِرَتِ الْأَمْيَرَةُ «نُورُ النَّهَارِ» بِنْتُ السُّلْطَانِ «مُحْسِنٍ». فَكَرِرَ السُّلْطَانُ «مَحْمُودُ» فِي تَرْوِيَجِ الْأَمْيَرَةِ بِنْتِ أَخِيهِ، بِأَحَدِ أُولَادِهِ، حَاوَلَ أَنْ يَتَحَمَّلَ لَهَا أَحَدُهُمْ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُعَاضِلَ بَيْنَهُمْ. كَانَ السُّلْطَانُ يُحِبُّ أُولَادَهُ حُبًا شَدِيدًا، وَكَانُوا جَدِيرِينَ بِمَا يَغْمُرُهُمْ بِهِ مِنْ مَحَبَّةٍ وَعِنَاءِ، وَتَكْرِيمٍ وَرِعَايَةٍ. عَيْنًا حَاوَلَ السُّلْطَانُ «مَحْمُودُ» الْعَادِلُ أَنْ يُفْضِّلَ وَاحِدًا مِنْهُمْ عَلَى أَخْوَيِهِ، تَحِيرًا السُّلْطَانُ فِي أَمْرِهِ، وَلَمْ يَدِرِ: أَيُّ أُولَادِهِ يَخْتَصُّ بِهَذِهِ الْأَمْيَرَةِ الْفَاضِلَةِ ذَاتِ الْمَوَاهِبِ الْعَالِيَّةِ وَالْمَرَأَايَا الْكَامِلَةِ؟



بَنْتُ الْعَمِّ: «نُورُ النَّهَارِ».

#### (٤) خُطَّةُ بَارِعَةٌ

لَمْ يُلْبِثِ السُّلْطَانُ أَنْ وُفِّقَ – بَعْدَ أَيَّامٍ قَلَائلَ – إِلَى حَلٌّ بَارِعٍ عَادِلٍ، وَاهْتَدَى إِلَى رَأْيٍ مُوْفَّقٍ يُرِيْحُهُ مِنْ هَذَا الْمُشْكِلِ الْمُعَقَّدِ. كَانَتْ خُطَّةُ السُّلْطَانِ الْجَدِيدَةُ، مُبْدِعَةً مُبْتَكِرَةً فَرِيدَةً، تَدْلُّ عَلَى مَا مَيَّزَهُ اللَّهُ بِهِ مِنْ ذَكَاءٍ وَبَرَاعَةٍ وَدَهَاءٍ، وَتَكْفُلُ – إِلَى ذَلِكَ – بِإعْجَابِ أُولَادِهِ بِمَسْهُورَتِهِ، وَابْتِهَا جَهَنْمُ بِحِكْمَتِهِ؛ لِمَا تَجَلَّ فِيهَا مِنْ عَدَالَةٍ وَإِنْصَافٍ، وَبُعْدٍ عَنِ التَّحْيِزِ وَالْمُحَايَاةِ وَالْإِجْحَافِ.

أَتَدْرِي مَاذَا صَنَعَ، وَأَيِّ حِيلَةٍ ابْتَدَعَ؟ جَمَعَ السُّلْطَانُ أُولَادَهُ الْأُمْرَاءَ الْثَلَاثَةَ، وَقَالَ لَهُمْ فِي لَهْجَةِ الْأَبِ الْعَطُوفِ، وَحُنُونُ الْوَالِدِ الْحَدِبِ الرَّءُوفِ: «أَنَا أَعْرِفُ مَدَى حُكْمِ إِيَّايِ، وَطَاعَتُكُمْ لِي، كَمَا أَعْرِفُ مَا تُقْرِدُونَ بِهِ بِنْتَ عَمِّكُمُ الْأَمْرِيَةَ: «نُورُ النَّهَارِ» مِنْ إِجْلَالٍ وَإِعْرَازٍ.

وَقَدْ نَشَّاتُكُمْ – مُنْذُ حَادَّتُكُمْ – عَلَى الْاسْتِقْلَالِ فِي الرَّأْيِ؛ فَلَمْ أَفِرْضْ عَلَيْكُمْ طَاعَتِي  
فَرْضًا، وَلَمْ أَرْضِ لِنَفْسِي أَنْ أُمَيِّزَ وَاحِدًا مِنْكُمْ عَلَى أَخْوِيهِ.  
وَإِنْ كُنْتُ وَاثِقًا أَنَّكُمْ أَطْوَعُ إِلَى تَنْفِيذِ إِشَارَتِي – أَيَّا كَانَتْ – بِلَا اعْتِرَاضٍ وَلَا مُنَاقَشَةٍ.



السُّلْطَانُ «مُحَمَّد» يَتَحَدَّثُ مَعَ أَوْلَادِهِ.

وَلَا عَجَبٌ فِي ذَلِكَ، فَأَنْتُمْ – لِحُسْنِ الْحَظْ – مِنْ أَبْرَ مَنْ رَأَيْتُ مِنَ الْأَبْنَاءِ، وَأَكْرَمٍ مَنْ  
عَرَفَتْ بِلَادُ الْهِنْدِ مِنْ أَمْرَاءِ، وَأَجْدَرُهُمْ بِالْإِحْلَاصِ وَالْوَفَاءِ.  
وَقَدِ انْتَهَى بِي الرَّأْيُ إِلَى قَرَارِ يُرْضِيْكُمْ جَمِيعًا، وَيُفْسِحُ الْمَجَالَ لِنَشَاطِكُمْ وَاجْتِهَادِكُمْ،  
وَيَفْتَحُ أَبْوَابَ الرَّجَاءِ لِمَرَأِيْكُمُ النَّادِرَةِ، وَكِفَايَا تَنْكِمُ الْبَاهِرَةِ».

## الفصل الأول

قالَ الْأَمْرَاءُ لِأَبِيهِمْ: «السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لَكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ، فَمَا كُنَّا لِنُخَالِفَ لَكَ أَمْرًا، أَوْ نَعْصِيَ لَكَ نُصْحًا».

## (٥) قَرَارُ السُّلْطَانِ

قالَ السُّلْطَانُ «مَحْمُودُ»: «بَارَكَ اللَّهُ فِيْكُمْ، وَأَكْرَمَكُمْ وَرَعَاكُمْ، وَسَدَّدَ حُطَاكُمْ. لَقَدْ قَرَرَ رَأْيِي عَلَى أَنْ تَرْتَادُوا بِلَادَ الْعَالَمِ، وَتَمْشُوا فِي مَنَابِكِ الْأَرْضِ، بِاِحْتِيَانِ مُنْقَبِيَنَ، ثُمَّ تَعُودُوا إِلَيَّ - بَعْدَ عَامٍ كَامِلٍ - مُزَوَّدِينَ بِمَا ظَفَرْتُمْ بِهِ مِنَ النَّفَائِسِ النَّادِرَةِ غَانِمِينَ، وَأَيْكُمْ ظَفَرَ بِطُرْفَةٍ فَذَّةٍ، أَنْفَسَ مِنْ طُرْفَتِي أَخْوَيْهِ؛ فَهُوَ الْفَائِزُ بِزَوَاجٍ بِنْتِ عَمِّ الْأَمْرِيرَةِ: «نُورِ النَّهَارِ».

وَلَنْ أَصِنَّ عَلَيْكُمْ بِمَا تَطْلُبُونَ مِنْ مَالٍ: لِأُعِينَكُمْ عَلَى تَحْقِيقِ مَا تَصْبُرُ إِلَيْهِ نُقُوسُكُمْ مِنْ رَغَبَاتٍ وَآمَالٍ! فَكَيْفَ تَقُولُونَ، وَعَلَامَ تُعَوِّلُونَ؟»

فَرَحَ الْأَمْرَاءُ الْثَلَاثَةُ بِمَا سَمِعُوا مِنْ أَبِيهِمْ، وَابْتَهَجُوا لِاقْتِرَاحِ السَّدِيدِ، وَأَعْجَبُوا بِرَأْيِهِ الْمُوْفَّقِ الرَّشِيدِ، وَشَكَرُوا لَهُ مَوْفُورَ عَطْفِهِ وَعِنَايَتِهِ، وَصَادَقُوا بِرِهِ وَرِعَايَتِهِ. وَكَانَ أَكْبَرُ مَا سَرَّهُمْ فِي هَذَا الْاقْتِرَاحِ، أَنَّهُ سَيُتَّيِّحُ لَهُمُ الْإِرْتِحَالَ إِلَى بِلَادِ بَعِيْدَةِ، وَيُمْكِنُهُمْ مِنْ زِيَادَةِ الْمَعْرِفَةِ بِمَنْ يَسْكُنُونَهَا مِنَ النَّاسِ.

## (٦) وَصَايَا الْحَكِيمِ

وَاسْتَدَعَ السُّلْطَانُ «مَحْمُودُ» حَكِيمَ الْأُمَّةِ «آزَادَ»، وَقَصَّ عَلَيْهِ مَا صَنَعَ مَعَ أَوْلَادِهِ الْثَلَاثَةِ، وَمَا اتَّخَذَ مَعَهُمْ مِنْ خُطَّةٍ وَتَدْبِيرٍ فِي شَأْنِ الْأَمْرِيرَةِ «نُورِ النَّهَارِ»، وَمَنْ يَكُونُ مِنْهُمْ زُوْجًا لَهَا. وَقَالَ السُّلْطَانُ لِحَكِيمِ الْأُمَّةِ: «لَكَ أَنْ تَجْتَمِعَ بِأَوْلَادِي، وَهُمْ عَلَى وَشْكِ السَّفَرِ، وَأَنْ تُؤْصِيَهُمْ بِمَا شِئْتَ، وَتَنْصَحُ لَهُمْ بِمَا تَرَى؛ فَإِنَّ فِيكَ حِكْمَةً، وَلَكَ تَجْرِيَةً، وَأَنْتَ جَدِيرٌ أَنْ تُرْشِدَ أَبْنَائِي إِلَى مَا فِيهِ خَيْرٌ وَصَلَاحٌ».

فَقَالَ حَكِيمُ الْجُمِيَّةِ «آزَادُ»: «إِنِّي لَسَعِيدٌ بِأَنْ أَتَوَلَّ هَذَا الْأَمْرَ، وَلَنْ أَدْخُرْ وُسْعًا فِي التَّوْجِيهِ وَالْإِرْشَادِ. وَمَا أَجْدَرْ أَبْنَاءَكَ بِأَنْ يَنْتَهُوا فِي فُرْصَةِ السَّفَرِ وَالِإِرْتِحَالِ؛ فَيُسْتَقِيدُوا نُزْهَةً وَمُمْتَعَةً، وَيُفِيدُوا وَطَنَهُمْ بِمَا يَجْلِبُونَهُ مِنْ نَفَائِسَ وَطَرْفِ، وَأَحْسَنُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَتَعَرَّفُوا مَا فِي الْبِلَادِ الْأُخْرَى مِنْ مَنَافِعِ النَّاسِ، وَيَقْتَبِسُوهَا لِوَطَنِهِمُ الْعَزِيزِ!»

فَقَالَ السُّلْطَانُ لِلْحَكِيمِ «آزَادَ»: «لَهُدَا دَعْوَتُكَ، وَعَسَى أَنْ تُوقَّفَ فِي مُهْمَتِكَ، حَتَّى تَكُونَ رِحْلَةُ أَوْلَادِي حَيْرًا وَبَرَكَةً لِلْجَمِيعِ؛ فَانْصَرِفْ إِلَيْهِمْ، وَاجْتَمِعْ بِهِمْ.

وَلَا أَزِيدُكَ تَوْصِيَّةً، فَمَنْ أَرْسَلَ حَكِيمًا فِي مُهْمَمَةٍ، لَمْ يَحْتَجْ مَعَهُ إِلَى أَنْ يُوْصِيَهُ.

وَدَعَا الْحَكِيمُ «آزَادَ» الْأُمْرَاءَ التَّلَاثَةَ؛ فَجَلَسُوا حَوْلَهُ، يَسْتَمْعُونَ، فَقَالَ لَهُمْ: «حَسَنًا فَعَلَ أَبُوكُمْ، حِينَ أَبَى أَنْ يُفْحَلْ وَاحِدًا مِنْكُمْ عَلَى أَخْوَيْهِ؛ فَأَنْتُمُ التَّلَاثَةُ سَوَاءُ عِنْدُهُ فِي حُبِّهِ إِيَّاكُمْ، وَإِعْزَازِهِ لَكُمْ. وَقَدْ جَعَلَ رَعْبَتُكُمْ فِي النَّزُُّوْجِ بِالْأَمْرِيَّةِ «نُورِ النَّهَارِ» سَبَبًا لِلتَّنَافِسِ بَيْنَكُمْ فِي أَعْمَالٍ تَرَفُّعُ مِنْ أَفْدَارِكُمْ، وَتَعْلُى مِنْ قِيمَكُمْ. وَأَجْلُ عَمَلٍ يَرْفَعُ الْقُدْرَ، هُوَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ الَّذِي يَعْمُلْ نَفْعَهُ الْوَطَنَ، وَيَسْعَدُ بِهِ الْمَجْمُوعُ».

فَتَسَاءَلَ الْأُمْرَاءُ التَّلَاثَةُ: «أَيُّ عَمَلٍ صَالِحٍ يُشَيرُ إِلَيْهِ الْحَكِيمُ؟»

فَأَجَابَهُمْ قَائِلًا: «سَتَحْلُونَ بِلَادًا غَيْرَ الْبَلَدِ الَّذِي حَلَّتُمْ، وَسَتَعْرِفُونَ أُوْطَانًا غَيْرَ الْوَطَنِ الَّذِي عَرَفْتُمْ. وَسَتَرْوَنَ حَيْثُ تَحْلُونَ فِي بِقَاعِ الْأَرْضِ مَظَاهِرَ حَضَارَةِ وَمَدِينَةٍ، وَتَشَهَّدُونَ إِلَوَانًا مِنَ النَّشَاطِ فِي الْمَجَالِ الْعَلَمِيِّ أَوِ الصَّنَاعِيِّ أَوِ الزَّرَاعِيِّ أَوِ التَّجَارِيِّ..

فَلَا تُغْمِضُوا أَعْيُنَكُمْ؛ وَلِكِنْ اجْتَهِدُوا أَنْ تَنْتَقِعُوا بِكُلِّ مَا تَشَهَّدُونَ وَمَا تَعْرِفُونَ، وَتَبَيَّنُوا مَا يَصْلُحُ اقْتِبَاسُهُ لِوَطَنِكُمْ مِنَ الْمَنَافِعِ؛ حَتَّى إِذَا رَجَعْتُمْ كَانَ فِيمَا تَحْمِلُونَهُ مِنَ الْمُخْتَرَاعَاتِ وَالْمُبْتَكَرَاتِ وَالْأَنْظَمَةِ الْمُفَيَّدَةِ مَا يُحَقِّقُ لِلْوَطَنِ الْخَيْرَ الْعَمِيمَ».

فَتَسَاءَلَ الْأُمْرَاءُ التَّلَاثَةُ، وَهُمْ يُنَاقِشُونَ الْحَكِيمَ «آزَادَ»: «لَقَدْ أَوْصَانَا أَبُونَا أَنْ نَتَنَافَسَ فِي الظَّفَرِ بِأَحْسَنِ الْطَّرْفِ، وَأَعْلَى النَّفَائِسِ، وَاتَّفَقْنَا عَلَى أَنْ نَسْتَجِيبَ لِرَغْبَتِهِ..

فَقَالَ الْحَكِيمُ «آزَادَ»: «لَا تَحْسِبُوا أَنَّ الْطَّرْفَ وَالنَّفَائِسَ مَقْصُورَةٌ عَلَى الْأَشْيَاءِ الَّتِي يَغْلُو ثَمَنُهَا، وَيَعْزُزُ وُجُودَهَا، مِنَ الدَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، أَوْ مِنَ الْلُّؤْلُؤِ وَالْبِيَافُوتِ؛ فَمِنَ التُّحَفِ وَالنَّفَائِسِ مَا لَا يُعَوِّمُ بِمَالٍ.. وَإِنَّ الْمُخْتَرَاعَاتِ الْعُمَرَانِيَّةِ، فِي الْعِلْمِ وَالصَّنَاعَةِ وَالْزَرْعَةِ، لَهِيَ

تُحَفُّ وَنَفَائِسُ لَيْسْتُ لِمُجَرَّدِ الْزَّيْنَةِ، وَلَكِنَّهَا لِتَقْدِيمِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَتَوْفِيرِ الرَّحَاءِ وَالسَّعَادَةِ لِلْجَمِيعِ.»

فَشَكَرَ الْأَمْرَاءُ الْثَّلَاثَةُ لِلْحَكِيمِ «آزَادَ» تَوْجِيهُهُ الْمُوْفَقَ، وَوَصِيَّتُهُ الْعَظِيمَةُ، وَتَعَهَّدُوا لَهُ الَّذِي يَتَّخِذُونَ رِحْلَتَهُمْ لَهُمْ وَلَا عَيْنَاً، وَأَنْ يَصْرِفُوا هَمَّهُمْ إِلَى مَا يَرِيدُهُمْ خِبْرَةً وَتَجْرِيَّةً وَفَهْمًا، وَأَنْ يَبْحَثُوا عَنْ كُلِّ مَا هُوَ نَافِعٌ مُفِيدٌ.

وَبَعْدَ أَيَّامٍ قَلَّا لِلَّيْلِ، سَافَرَ الْأَمْرَاءُ الْأَشْقَاءُ، وَمَعَ كُلِّ مِنْهُمْ قَائِدٌ مِنْ قُوَادِ الْجَيْشِ، يُرَافِقُهُ فِي حِلْهِ وَتَرْحَالِهِ، وَيُعِيْنُهُ – إِذَا دَعَتِ الْحَاجَةُ – عَلَى تَحْقِيقِ آمَالِهِ.

وَقَدْ ارْتَدَ الْأَمْرَاءُ الْثَّلَاثَةُ ثِيَابَ التَّجَارِ، وَارْتَدَ مُعَاوِنُوهُمْ ثِيَابَ الْأَتَّبَاعِ؛ حَتَّى لَا يَعْرِفَ أَحَدٌ – مَمَنْ يُلْقَاهُمْ فِي طَرِيقِهِمْ – حَقِيقَةَ أَمْرِهِمْ، وَلَا يَهْتَدِي إِلَى حَافِ سِرْهُمْ. وَأَخَذَ كُلُّ أَمِيرٍ كَثِيرًا مِنَ الْأَمْوَالِ الْطَّائِلَةِ، لِيَسْتَعِينَ بِهَا – فِي أَئْنَاءِ رِحْلَتِهِ – عَلَى قَضَاءِ رَغْبَتِهِ، وَتَحْقِيقِ طِلْبَتِهِ، وَإِنْجَازِ مُهْمَتِهِ ...

ظَلَّ الْأَمْرَاءُ الْثَّلَاثَةُ سَائِرِينَ فِي طَرِيقِهِمْ، جَادِينَ فِي سَفَرِهِمْ، يَرْتَادُونَ الْبِلَادَ، مُنَنَّقِلِينَ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ، يَقْضُونَ نَهَارَهُمْ فِي مُوَاصِلَةِ السَّيْرِ ...

حَتَّى إِذَا جَاءَ اللَّيْلُ، سَكَنُوا إِلَى الرَّاحَةِ مِنْ عَنَاءِ رِحْلَتِهِمْ، وَنَزَلُوا فِي أَوَّلِ فُنْدُقٍ يُصَادِفُهُمْ، ثُمَّ اسْتَأْنَفُوا سَفَرَهُمْ فِي بُكْرَةِ الْيَوْمِ التَّالِيِّ.

## (٧) مُفْتَرَقُ الْطُّرُقِ

وَهَكَذَا وَاصَلَ الْأَمْرَاءُ سَعْيَهُمْ إِلَى غَايَتِهِمْ فِي مُثَابَرَةِ وَدَابِ، لَا تَتَنَاهِيهِمْ – فِي طَرِيقِهِمْ – عَقْبَةً، وَلَا يَحْفَلُونَ بِمَا يُكَابِدُونَ مِنْ جَهْدٍ وَمَشَقَّةٍ؛ حَتَّى بَلْغُوا الْمَدَى مِنْ طَرِيقِهِمُ الْطَّوِيلَةِ الشَّاقَّةِ.

وَقَدْ انْتَهَى بِهِمُ السَّيْرُ إِلَى مُفْتَرَقِ الْطُّرُقِ، حَيْثُ يَنْقَرِرُ مِنْ طَرِيقِهِمْ ثَلَاثُ شُعَبٍ مُنَشَّابَهَاتُ.

فَوَقَفَ الْأَمْرَاءُ يَنْاقِشُونَ فِيمَا يَفْعَلُونَ، وَيُدِيرُونَ وُجُوهَ الرَّأْيِ فِيمَا يَصْنَعُونَ، وَأَيَّ الْطَّرِيقِ يَسْلُكُونَ، وَأَيَّهَا يَتَنَكَّبُونَ؟!



وَقَدِ انْتَهَىٰ بِهِمُ السَّيْرُ إِلَى مُفْتَرِقِ الْطُّرُقِ.

#### (٨) قَرَارُ الْأُمَّارِ

نُمْ اجْتَمَعَ رَأْيُ الْأُمَّارِ — آخِرُ الْأَمْرِ — عَلَى أَنْ يَسْلُكُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ — فِي صَبَاحِ الْغَدِ — طَرِيقًا مِنَ الْطُّرُقِ الْثَلَاثِ، يَنْتَهِي بِالْمَدِينَةِ الَّتِي اخْتَارُهَا.

وَقَدْ عَقَدَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَرْمَهُ عَلَى أَنْ يُوَاصِلَ سَعْيَهُ، حَتَّىٰ يَصِلَ إِلَى غَايَتِهِ، وَيُجَرِّبَ حَظَّهُ فِي الْحُصُولِ عَلَى طُرْفِتِهِ.

تَعَاهَدَ الْأَشْقَاءُ الْثَلَاثَةُ عَلَى أَنْ يُلْتَقُوا جِمِيعًا فِي هَذَا الْمَكَانِ، فِي نِهَايَةِ الْعَامِ، لِيَتَشَاءُرُوا فِي أَمْرِهِمْ، وَيَتَعَرَّفُوا إِلَيْهِمُ الْأَخْرَى بِهِمْ، قَبْلَ أَنْ يَعُودُوا إِلَى وَطَنِهِمْ، وَيَعْرُضُوا عَلَى أَبِيهِمُ السُّلْطَانِ مَا ظَنُّوا بِهِ مِنْ نَفَائِسِ الْطَرْفِ، وَبَدَائِعِ التُّحَفِ.

لَمْ يَكُنِ الْيَوْمُ التَّالِي يَطْلُعُ، حَتَّىٰ أَعَدَ الْإِخْوَةُ الْثَلَاثَةُ عُدَّتِهِمْ، وَاتَّخَذُوا — لِاسْتِئْنَافِ السَّفَرِ — أَهْبَتَهُمْ.

فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ مُوَدِّعِينَ، وَتَعَانَقُوا مُتَحَابِينَ مُتَحَاطِفِينَ. وَدَعَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ لِأَخْوَيِهِ بِالْفَوْزِ وَالنَّجَاحِ، وَالْتَّوْفِيقِ وَالْفَلَاحِ.

## الفَصْلُ الْأَوَّلُ

وَلَمْ يَدْفَعُهُمْ حِرْصٌ كُلٌّ وَاحِدٌ مِنْهُمْ عَلَى الظَّفَرِ بِأَبْنَةِ عَمِّهِ، مِنْ أَنْ يَتَمَنَّى بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ أَنْ يَجِدُوا فِي رِحْلَتِهِمُ الْأَمْنَ وَالطُّمَانِيَّةَ، وَأَنْ يَتَلَاقُوا بَعْدَ الْفُرْقَةِ فِي غَافِيَّةٍ وَسَلَامَةٍ.



## الفَصْلُ الثَّانِي

### (١) رَحْلَةُ سَاقَةً

سَارَ الْأَمِيرُ «حُسَيْنٌ» فِي طَرِيقِهِ، وَكُلُّهُ رَجَاءٌ فِي تَحْقِيقِ رَغْبَتِهِ، وَالظَّفَرِ بِأُمْنِيَّتِهِ. وَاصَّلَ الْأَمِيرُ «حُسَيْنٌ» سَيِّرَهُ فِي مُثَابَرَةٍ وَدَأِبٍ، تَحْفِزُهُ عَزِيمَةُ وَبَابَةٍ، وَتَحْدُوْهُ هَمَّةُ غَلَابَةٍ، لَا يَدْبُبُ إِلَيْهَا كَلَالٌ وَلَا مَلْ، وَلَا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهَا ضَعْفٌ وَلَا فَشْلٌ. وَقَدْ وَجَهَ الْأَمِيرُ «حُسَيْنٌ» عِنَايَتَهُ إِلَى بُلُوغِ مَدِينَةِ «بِسْنَجَارٍ»، لِمَا سَمِعَهُ — مُنْذُ نَشَأَتِهِ — عَنْ مَتَاجِرِهَا الْغَنِيَّةِ، وَمَتَاجِرِهَا النَّادِرَةِ، الَّتِي تَحْوِي مِنْ غَوَالِي التُّحَفِ وَنَفَائِسِهَا مَا يَنْدُرُ وَجُودُ نَظِيرٍ لَهُ فِي سِوَاهَا مِنْ بِلَادِ الْعَالَمِ.

### (٢) بَعْدَ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ

ظَلَّ الْأَمِيرُ «حُسَيْنٌ» يُوَاصِلُ سَيِّرَهُ الْحَثِيثَ — مُتَجَهًا فِي طَرِيقِهِ — إِلَى الشَّاطِئِ الْهِنْدِيِّ. فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ وَصَلَ — فِي نِهَايَةِ رِحْلَتِهِ — إِلَى مَدِينَةِ «بِسْنَجَارٍ» الْعَظِيمَةِ، بَعْدَ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ.

وَقَدْ شَعَرَ بِسُرُورِ عَظِيمٍ حِينَ بَلَغَ الْمَدِينَةَ الْعَظِيمَةَ، وَسَرَى إِلَى نَفْسِهِ أَمْلُ فِي أَنْ يَجِدَ فِيهَا نِفِيسَةً يَعْتَزُرُ وَالدُّهُ بِهَا، وَيُؤْثِرُهَا عَلَى غَيْرِهَا، وَتَعْرِيَهِ عَمَّا بَذَلَ فِي سَيِّلِهَا مِنْ جُهْدٍ وَعَنَاءٍ، وَمَا كَابَدَهُ فِي رِحْلَتِهِ الطَّوِيلَةِ الْمُضْنِيَّةِ مِنْ مَشَاقٍ، وَمَا تَحْمَلَهُ مِنْ ضُرُوبِ الْإِرْهَاقِ.

وَقَدْ بَدَلَ الْأَمِيرُ «حُسَيْنُ» جُهُودًا لَا تُوَصَّفُ فِي اجْتِيَازِ مَا كَانَ يَعْتَرِضُ طَرِيقَهُ الطَّوِيلَةِ مِنْ فَلَوَاتٍ وَاسِعَةٍ، وَصَحْرَاوَاتٍ شَاسِعَةٍ، وَتَصْعِيدٍ فِي الْجِبَالِ السَّامِقَةِ، وَتَسْلُقٍ رُّعُوسَهَا الشَّاهِقَةِ، وَاجْتِيَازِ الْوَدْيَانِ الْعَمِيقَةِ، وَالْمُنْخَفَضَاتِ السَّحِيقَةِ؛ حَتَّى وَصَلَ – فِي نِهايَةِ الرَّحْلَةِ الْمُضْنِيَةِ – إِلَى تِلْكَ الْمَدِينَةِ الْغَيْبَةِ. وَكَانَ أَوَّلَ مَا بَدَأَ بِهِ الْأَمِيرُ «حُسَيْنُ» أَنْ اكْتَرَى حُجْرَةً فَآخِرَةً فِي أَحَدِ فَنَادِقِ الْمَدِينَةِ الْعَامِرَةِ.

### (٣) دَرْسُ شَامِلٌ

لَمْ يُضْعِفِ الْأَمِيرُ «حُسَيْنُ» شَيْئًا مِنْ وَقْتِهِ بِلَا عَمَلٍ. وَضَعَ نُصْبَ عَيْنِيهِ أَنَّهُ لَمْ يَبْدُلْ جُهْدَ السَّفَرِ، لِيُشَغِّلَ وَقْتَهُ بِلَهِو وَلَعِبٍ. كَانَ أَوَّلَ مَا عُنِيَّ بِهِ أَنْ عَمَدَ إِلَى تُجَارِ الْمَدِينَةِ، فَتَحَبَّ إِلَيْهِمْ، وَتَعْرَفَ عَلَيْهِمْ. ثُمَّ وَجَّهَ عِنَايَتَهُ، وَبَدَلَ وُسْعَهُ وَطَاقَتَهُ، فِي مُوَاصِلَةِ الدَّرْسِ وَالِتَّنْقِيبِ، فِي دُعُوبِ عَجِيبٍ؛ فَلَمْ يَلْبِسْ أَنْ خَرَجَ – بَعْدَ رَمَنْ قَلِيلٍ – بِدَرْسٍ شَامِلٍ مُسْتَغِيْضٍ لِمَعَالِمِ الْمَدِينَةِ وَأَسْوَاقِهَا وَمَعَاهِدِهَا، وَأَتَارِهَا وَمَتَاحِفِهَا وَمَعَابِدِهَا. وَقَدْ اشْتَدَّ إِعْجَابُ الْأَمِيرِ «حُسَيْنِ» بِمَا شَهَدَهُ فِي قَصْرِ مَلِيكَهَا الْكَبِيرِ، وَبَهَرَهُ مَا تَمَيَّزَ بِهِ مِنْ هَنْدَسَةٍ مُحْكَمَةٍ بَارِعَةٍ، وَابْتِكَارَاتٍ فَنِيَّةٍ رَائِعَةٍ. ثُمَّ انطَّلَقَ فِي الْمَدِينَةِ يَرْتَادُ أَحْيَاءَهَا وَمَغَانِيهَا، وَيَعْرَفُ شَوَارِعَهَا وَنَوَاحِيهَا، فَامْتَلَأَتْ نَفْسُهُ – بِمَا شَهَدَ – بِهَجَةَ وَسُرُورًا، وَفَاضَ قَلْبُهُ – بِمَا رَأَى – أَنْسًا وَحُبُورًا.

كَانَ الْأَمِيرُ «حُسَيْنُ» – كَأَخْوَيِهِ – مَشْبُوبَ الرَّغْبَةِ، شَدِيدَ الْحِرْصِ عَلَى الْإِفَادَةِ مِنْ فُنُونِ الْعِلْمِ، وَالْإِسْتِزَادَةِ مِنْ ضُرُوبِ الْمَعْرِفَةِ.

فَلَا عَجَبَ إِنَّا حَرَصَ عَلَى اِنْتِهَارِ الْفُرْصَةِ، لِتَعْرُفَ مَا تَحْوِيهِ مَدِينَةُ «بِسْنَجَارِ» – مَا وَسَعَهُ الْجُهْدُ وَالْوَقْتُ – لِيَخْرُجَ بَعْدَ دِرَاسَتِهِ الْمُسْتَفِيْضَةِ الشَّامِلَةِ بِمُؤَلَّفِ نَفِيسٍ، يُضِيفُ إِلَى الْبَاحِثِينَ جَدِيدًا مِنَ الْمَعْرِفَةِ، وَيُوَسِّعُ آفَاقَ مَدَارِكَهُمْ، وَيُغَرِّيْهُمْ بِالْإِقْبَالِ عَلَى الرَّحَلَاتِ وَالْإِكْتَارِ مِنْهَا وَالْإِسْتِزَادَةِ، وَالْإِفَادَةِ بِمَا يَجْنُونَهُ مِنْ ثَمَرَاتِ الْكَشْفِ وَالرِّيَادَةِ.

## الفَصْلُ الثَّانِي

وَاهْتَمَ الْأَمِيرُ «حُسَيْنٌ» بِأَنْ يَجْمَعَ الْمَعْلُومَاتِ الدِّيْقِيْقَةِ، وَيَتَحَرَّى الْحَقَائِقَ الصَّحِيْحَةَ؛ حَتَّى يَكُونَ كِتَابُهُ الَّذِي يُؤْلَفُهُ مَصْدَرًا مِنَ الْمَصَادِرِ الَّتِي يَسْتَدِدُ إِلَيْهَا، وَمَرْجِعًا مِنَ الْمَرَاجِعِ الَّتِي يُعَوَّلُ عَلَيْهَا.

### (٤) أَسْوَاقُ الْمَدِيْنَةِ

وَكَانَ الْأَمِيرُ «حُسَيْنٌ» كُلَّمَا جَاءَ سَلَكَ الْمَدِيْنَةَ، وَاتَّصَلَ بِأَهْلِهَا، عَظَمْتُ فِي عَيْنِهِ مَكَانَتُهَا، لِمَا شَاهَدَهُ مِنْ حَرَكَةِ دَائِنَةٍ، وَنَشَاطٍ مَوْفُورٍ.

وَزَادَ مِنْ إِعْجَابِ الْأَمِيرِ «حُسَيْنٌ» بِالْمَدِيْنَةِ الْعَظِيْمَةِ، مَا رَأَهُ فِيهَا مِنْ ذُوقٍ فَنِيٍّ رَفِيعٍ أَنِيقٍ، وَتَنْظِيمٍ رَائِعٍ وَتَسْسِيقٍ، وَتَرْتِيبٍ مُحْكَمٍ دَقِيقٍ.

وَبَهَرَهُ مَا شَهَدَهُ فِيهَا مِنْ مَرَايَاهَا، الَّتِي تَفَرَّدَتْ بِهَا دُونَ سِوَاهَا.

فَقَدْ رَأَى أَسْوَاقَهَا مُتَنَاسِقَةً مُنْسَجِمَةً، مُرْتَبَةً مُنْظَمَةً، تَتَمَيَّزُ كُلُّ سُوقٍ مِنْهَا بِحِرْفَةٍ بَعْيَنَهَا، لَا تَعْدُوهَا إِلَى عَيْرِهَا.

وَرَأَى كُلَّ طَائِفَةً مِنْ طَوَافِهَا تَعْرِضُ بَضَائِعَهَا وَسِلَعَهَا، فِي سُوقٍ وَاحِدٍ بِعِينِهَا، تَحْتَصُ بِهَا وَحْدَهَا، وَتَنْفَرُ بِبَيْعِهَا وَعَرِضِهَا، دُونَ أَنْ تَتَجَاوِزَهَا أَوْ تَتَعَدَّهَا، إِلَى سِلْعَةٍ سِوَاهَا.

فَهُنَا سُوقُ الْتِبَابِ، وَإِلَى جَانِبِهَا سُوقُ الْبُسْطِ وَالسَّجَادِ، وَتَمَّ سُوقُ الْلَّائِي وَالْأَحْجَارِ الْكَرِيمَةِ.. وَهَكَذَا، بِحِيثُ عُرِفَتْ كُلُّ سُوقٍ – مِنْ أَسْوَاقِ الْمَدِيْنَةِ – بِلُونٍ بِعِينِهِ، يُقْصَدُ إِلَيْهِ الْقَاصِدُ، فَلَا يُخْطِئُهُ.. وَفِي ذَلِكَ مَا فِيهِ مِنْ اقْتِصَادٍ فِي الْجُهْدِ وَالْوَقْتِ.

وَقَدْ تَفَرَّدَتْ أَسْوَاقُ الْمَدِيْنَةِ الْعَظِيْمَةِ – إِلَى مَرَايَاهَا الْكَثِيرَةِ – بِمَا اتَّصَفَ بِهِ التُّجَارُ مِنْ سَمَاحَةِ الْخُلُقِ، وَلَطْفِ الْمُعَامَلَةِ، وَبِالدُّقَّةِ وَالْأَمَانَةِ فِي وَصْفِ الْمَعْرُوضَاتِ وَبِبَيَانِ قِيمَتِهَا.

### (٥) عِطْرُ الْأَزْهَارِ

وَكَانَ مِمَّا اسْتَرَعَى اِنْتِبَاهَ الْأَمِيرِ «حُسَيْنٌ» مَا شَهَدَهُ فِي الْمَدِيْنَةِ مِنْ وَفَرَةِ الْحَدَائِقِ وَالْبَسَاتِينِ، وَمَا رَأَهُ مِنْ إِقْبَالِ الْأَهْلِيَنَ عَلَى اِقْتِنَاءِ الْأَزْهَارِ وَالرَّيَاحِينِ، وَشَغْفِهِمْ بِالْوَرْدِ وَعِنَايَتِهِمْ بِهِ، وَحِرْصِهِمْ عَلَى شِرَائِهِ، وَافْتِتَانِهِمْ بِعُطُورِهِ وَالْوَانِهِ.



الأمير «حسين» في سوق الثياب.

وكان أريج الورود الذكي يفوح في كل مكان، فينعش النقوس شذاه المعطر، ولا يكاد يخلو منه بيت ولا متجر! وقد عرف الأمير أن أهل هذه المدينة قد برعوا في استخراج العطور من الأزهار والرياحين، وتقدير أنواع من السوائل الطائية ذات الرائحة الذكية، وهي سوائل سريعة التبخر، لا تكاد ترتفع السدادة عن قنیتها حتى يملأ الجو عطر فواح. وسمع الأمير في أثناء أحاديثه مع الأهلين أنه كان هناك من بينهم رجل قضى عمره كله في تجارب متوالية، أراد بها أن يستخرج من بخار النباتات والأعشاب مادة أثيرية:

## الفَصْلُ الثَّانِي

يَقُلُّ وَزْنُهَا عَنْ وَزْنِ الْهَوَاءِ، تَسْتَطِيعُ أَنْ تَحْمِلَ الْأَشْيَاءَ وَتَمْضِي بِهَا فِي الْجَوَّ، كَمَا يَمْضِي  
الطَّائِرُ فِي الْفَضَاءِ.



الْأَمِيرُ حُسْنُ يُخَادِثُ أَحَدَ الْأَهْلِينَ.

وَقَالَ بَعْضُ مَنْ تَحَدَّثَ إِلَيْهِمُ الْأَمِيرُ «حُسْنُ».

هَذَا الرَّجُلُ قَدْ نَجَحَ فِيمَا أَرَادَ، وَاسْتَطَاعَ أَنْ يَصْنَعَ تَرْكِيَّاً مِنْ بُخَارِ الْعُطُورِ، إِذَا مَسَّ  
شَيْئاً خَفَّ وَزْنُهُ، وَمُمْكِنَ أَنْ يَصْعَدَ فِي الْفَضَاءِ، فَتُسْرِعَ بِهِ الرِّيحُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ.

وَعَجَبَ الْأَمِيرُ «حُسْنُ» مِمَّا سَمِعَ، وَحَارَ فِي أَمْرِهِ:

أَيُّصُدُّ مَا يَسْمَعُهُ أَمْ يُكَذِّبُهُ؟ وَلَكِنَّهُ فَضَّلَ أَنْ يَبْحَثَ عَنْ حَقِيقَةِ هَذَا الِإِكْشَافِ  
الْغَرِيبِ، وَتَمَنَّى أَنْ يَهْتَدِي إِلَيْهِ.

وَخَرَصَ الْأَمِيرُ «حُسْنُ» عَلَى أَنْ يَجْمَعَ مِنَ الْخُبَرَاءِ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ كُلَّ مَا يَسْتَطِيعُ أَنْ  
يَجْمَعَهُ مِنْ مَعْلُومَاتٍ تَتَعَلَّقُ بِزِرَاعَةِ الرُّهُورِ، وَصَنَاعَةِ الْعُطُورِ، وَأَنْ يَحْصُلَ عَلَى مَقَادِيرِ  
كَافِيَّةٍ مِنْ بُدُورِ كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الزَّهْرِ، وَيُسَجِّلَ طَرِيقَةَ إِنْبَاتِهِ وَتَنْمِيَتِهِ، وَوَسِيلَةَ تَنْطِيرِهِ  
وَاسْتِخْرَاجِ عَطْرِهِ؛ لِكَيْ يَتَنَفَّعَ بِذَلِكَ أَهْلُ وَطَنِهِ، فَلَا يَفْوَتُهُمْ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَتَمَمَّ بِهِ غَيْرُهُمْ  
مِنَ النَّاسِ.

وَمِمَّا ارْتَاحَ إِلَيْهِ الْأَمِيرُ «حُسَيْنٌ» أَنَّهُ كَانَ يَجِدُ مِنْ أَهْلِ مَدِينَةِ «بِسْنَجَارَ» مَعْوِنَةً سَخِيَّةً؛ فَلَمْ يَضْنُوا عَلَيْهِ بِمَا يُرِيدُ أَنْ يَعْرِفُهُ مِنَ الْحَقَائِقِ وَالدَّقَائِقِ، وَلَمْ يُقْسِرُوا فِي تَبْيَسِيرِ حُسُولِهِ عَلَى النَّمَادِيجِ الَّتِي يَخْتَارُهَا مِنْ أَصْنَافِ الزُّهُورِ فِي مُخْتَفِي الْحَدَائِقِ وَالْبَسَاتِينِ.

## (٦) سُوقُ السَّجَادِ

وَذَاتَ صَبَاحٍ: ذَهَبَ الْأَمِيرُ «حُسَيْنٌ» — عَلَى مَالُوفِ عَادَتِهِ — إِلَى الْمَدِينَةِ، يَمْشِي فِي أَسْوَاقِهَا، وَيَتَعَرَّفُ الْمَرِيدَ مِنْ طَرَائِفِهَا، وَيَتَحَرَّى الْجَدِيدَ مِنْ نَفَائِسِهَا، مُتَنَقْلًا مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ، وَمِنْ دُكَانٍ إِلَى دُكَانٍ، حَتَّى اتَّهَى بِهِ الْمَطَافُ إِلَى سُوقِ السَّجَادِ. وَكَانَ الْأَمِيرُ «حُسَيْنٌ» قَدْ جَهَدَهُ السَّيْرُ وَأَضْنَاهُ التَّعَبُ، فَجَلَسَ فِي مَتْجَرٍ كَبِيرٍ؛ لِيَسْتَرِيحَ مِنْ عَنَاءِ السَّفَرِ الطَّوِيلِ. وَمَا كَادَ صَاحِبُ الْمَتْجَرِ يَرَاهُ، حَتَّى أَقْبَلَ عَلَيْهِ وَحَيَاهُ، وَرَحَبَ بِهِ وَأَكْرَمَ مَثُواهُ.

## (٧) دَلَالُ السُّوقِ

وَمَرَرَتْ دَقَائِقٌ يَسِيرَةً، وَإِذَا صَوْتُ يُدْوِي — فِي السُّوقِ — عَالِيًّا، وَيَنْطَلِقُ مُنَادِيًّا. فَالْتَّفَتَ الْأَمِيرُ «حُسَيْنٌ» إِلَى مَصْدِرِ الصَّوْتِ، فَرَأَى دَلَالَ النَّفَائِسِ يَحْمِلُ فِي يَدِيهِ بِسَاطًا، وَسِمْعَهُ يُنَادِي بِصَوْتٍ جَهُورِيٍّ. وَلَا تَسْلُ عَنْ عَجَبِ الْأَمِيرِ «حُسَيْنٌ»، حِينَ سَمِعَ الدَّلَالَ يَقُولُ: «أَيْنَ مَنْ يَشْتَرِي هَذِهِ التُّحْفَةِ، وَيُقَدِّرُ نَفَاسَةَ هَذِهِ الْطُّرْفَةَ؟» أَيْنَ مَنْ يُسْرِعُ إِلَى اغْتِنَامِهَا، قَبْلَ أَنْ تَضِيَعَ الْفُرْصَةُ، وَتَنْقَلِبَ — بَعْدَ ضَيَاعِهَا — حَسْرَةً وَغُصَّةً!

يَا لِلصَّفَقَةِ النَّاجِحةِ، وَالْغِنَيمَةِ الرَّابِحَةِ!  
يَا لَهَا مِنْ طُرْفَةِ عَجَبٍ، لَمْ يَتَعَدَّ ثَمَنُهَا — إِلَى الْآن — ثَلَاثِينَ كِيسًا مِنَ الذَّهَبِ!  
مَا أَنْفَسَ الْطُّرْفَةَ، وَأَقْلَى الثَّمَنَ!  
فَأَيْنَ الْمَحْظُوظُ السَّعِيدُ، الَّذِي يُسْرِعُ إِلَى الْمَزِيدِ؟»

## الفَصْلُ الثَّانِي

وَكَانَ التُّجَارُ وَغَيْرُهُمْ مِنْ قُصَادِ سُوقِ السَّجَادِ يَتَطَلَّبُونَ إِلَى الدَّلَالِ، وَفِي عُيُونِهِمْ حَسَرَةٌ وَحَيْرَةٌ، وَكَانُوا نَادِمُونَ عَلَى أَنْهُمْ لَيْسَ مَعَهُمْ مِنَ الْمَالِ فِي سَاعَتِهِمُ الْحَاضِرَةِ، مَا يَجْعَلُهُمْ يَزِيدُونَ فِي التَّمَنِ عَلَى ثَلَاثَيْنَ كِيسًا مِنَ الذَّهَبِ ... فَيَا لِلْعَجَبِ!

### (٨) عَجَبُ الْأَمْيَرِ

لَا تَسْلُمُ عَنْ دَهْشَةِ الْأَمْيَرِ «حُسَيْنٌ» حِينَ سَمِعَ نِدَاءَ الدَّلَالِ، فَقَدْ حُبِّلَ إِلَيْهِ أَنْ يَهْوَى أَوْ مَسَّا مِنْ خَبَالٍ.

لَقِدْ اشْتَدَّ عَجَبُ الْأَمْيَرِ حِينَ رَأَى بِسَاطًا مُرَبَّعًا لَا يَكُادْ يَبْلُغُ الْمِتْرِيْنَ، يَغْلُو دَلَالُهُ فِي ثَمَنِهِ، فَيَقُومُ بِثَلَاثَيْنَ كِيسًا مِنَ الذَّهَبِ الْإِبْرِيزِ (الْخَالِصِ) ثُمَّ يَطْمَعُ فِي الْمَزِيدِ. أَقْبَلَ الْأَمْيَرُ «حُسَيْنٌ» عَلَى نَفْسِهِ قَائِلًا: «لَا شَكَّ فِي أَنَّ هَذَا الدَّلَالُ أَبْلَهُ أَوْ أَحْمَقُ، أَوْ سَفِيفُهُ أَوْ أَخْرَقُ، أَوْ لَعْلَهُ أَفَيْنُ (ضَعِيفُ الرَّأْيِ) مَخْبُولٌ، لَا يَدِرِي مَاذَا يُقُولُ!» عَاوَدَ الدَّلَالُ نِدَاءَهُ، وَكَرَرَ دُعَاءَهُ.

أَقْبَلَ الْأَمْيَرُ عَلَى الدَّلَالِ يُنَادِيهِ، وَالْعَجَبُ أَحِدُ مِنْهُ كُلُّ مَأْخِذٍ، وَطَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَعْرِضَ عَلَيْهِ ذَلِكَ الْبِسَاطَةِ.

### أَسْرَعَ الدَّلَالُ إِلَى تَلْبِيةِ الْأَمْيَرِ.

أَمْسَكَ الْأَمْيَرُ بِالْبِسَاطِ، وَظَلَّ يَتَأَمَّلُهُ وَيُنْبِعُ النَّظَرَ فِيهِ، لَعْلَهُ يَعْرِفُ حَقِيقَةَ أَمْرِهِ، وَيَهْتَدِي إِلَى مَا حَفِيَ مِنْ سِرِّهِ؛ فَلَمْ يَرِدْ فِيهِ — بَعْدَ الْفَحْصِ الدِّقِيقِ — مَيْزَةٌ وَاحِدَةٌ تُقْرُدُهُ عَنْ غَيْرِهِ مِنَ الْبُسْطِ، وَتُغْرِي الشَّارِي بِشَرَائِهِ، وَتَدْفَعُهُ لِلْحِرْصِ عَلَى اقْتِنَائِهِ، وَتَشْفَعُ لِلَّدَالِ، فِيمَا يَطْلُبُهُ مِنْ ثَمَنٍ غَالٍ، لَا يَخْطُرُ لِأَحَدٍ عَلَى بَالِ.

### (٩) بِسَاطُ الرِّيحِ

الْنَّفَقَتِ الْأَمْيَرُ «حُسَيْنٌ» إِلَى دَلَالِ النَّفَائِسِ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ يُسَائِلُهُ، وَقَدْ تَعَاذَلَهُ الدَّهْشُ. «شَدَّ مَا غَلَوْتَ — يَا صَاحِ — فِي ثَمَنِ الْبِسَاطِ وَأَسْرَفْتَ!

عَلَى حِينِ لَا أَرَى فِيهِ — مِنْ بِرَاءَةِ الصُّنْعِ وَجَمَالِ الدُّوقِ — مَا يُمْيِزُهُ مِنْ سَوَادِهِ، وَيُقْرِدُهُ عَمَّا عَدَاهُ!»

فَأَجَابَهُ الدَّلَالُ: «كَذِلِكَ شَاءَتْ إِرَادَةُ صَاحِبِهِ، وَلَيْسَ لِي بُدْ مِنْ تَلْبِيةِ أَمْرِهِ.

لَقَدْ أَمْرَنِي — وَلَهُ الْحَقُّ فِيمَا أَمْرَ — أَلَا إِيَّعِ بِسَاطُهُ النَّفِيسَ بِأَقْلَى مِنْ أَرْبَعِينَ كِيسًا مِنَ الدَّهْبِ الْإِبْرِيزِ.

وَلَا مَعْدَى عَنْ تَحْقِيقِ رَغْبَتِهِ، وَالْإِذْعَانِ لِمَشِيَّتِهِ.

وَلَنْ أَعْدَمْ لَهُ شَارِيًّا ذَكِيًّا، مُوسِرًا عَنِيًّا، مِنْ هُوَاةِ النَّفَائِسِ وَالطُّرُفِ، وَعُشَاقِ الْغَرَائِبِ وَالْتُّحَفِ.

عَلَى أَنَّ أَرْبَعِينَ كِيسًا مِنَ الدَّهْبِ — تُدْفَعُ فِي هَذَا الْبِسَاطِ — قَدِيلَةُ عَلَيْهِ، وَهِيَ لِمَنْ يَعْرُفُ حَقِيقَتَهُ، وَيَبْيَّنُ مَزِيَّتَهُ — لَيْسَتْ بِالثَّمَنِ الْكَثِيرِ؛ بَلْ هِيَ — لَوْ عَلِمْتَ — ثَمَنُ تَزَرُّ يَسِيرٌ».

اَشْتَدَ الْعَجَبُ بِالْأَمْيَرِ «حُسَيْنٍ» مِنْ حَدِيثِ الدَّلَالِ، وَلَمْ يَمَالِكْ أَنْ يَقُولَ لَهُ مُسَائِلًا:

«بِرَبِّكَ إِلَّا مَا حَبَرْتَنِي: أَيُّ مَيْزَنَةٍ فِيهِ، تُغْرِي مَنْ يَقْتَنِيهِ؟»

فَقَالَ لَهُ الدَّلَالُ: «إِنْ لَمْ يَكُنْدِنِي ظَنِّي يَا سَيِّدِي، فَأَنْتَ عَنْ هَذَا الْبَلَدِ غَرِيبٌ».

فَقَالَ الْأَمْيَرُ «حُسَيْنٌ»: «لَقَدْ هَدَاكَ ظَنِّكَ إِلَى الصَّوَابِ، وَلَمْ تَقْلِ إِلَّا حَقًا؛ فَهَلْ لَكَ أَنْ تَرُدَ عَلَى سُؤَالِي؟ فَتُرِيحَ بَالِي؟»

#### (١٠) مَيْزَنَةُ الْبِسَاطِ

فَقَالَ لَهُ الدَّلَالُ: «لَوْ عَلِمْتَ مَا تَمَيَّزْتِ بِهِ هَذِهِ النَّفِيسَةُ عَلَى غَيْرِهَا مِنْ نَفَائِسِ الْعَالَمِ قَاطِبَةً، لَدَرَكْتَ أَنَّ كُلَّ شَمْنٍ يُبَدِّلُ فِيهَا، لَا يَتَكَافَأُ مَعَ قِيمَتِهَا، لِدَرَرَتْهَا وَنَفَاسَتْهَا».

فَقَالَ الْأَمْيَرُ «حُسَيْنٌ»: «لَا أَكَادُ أَفْهَمُ شَيْئًا مِمَّا تَقُولُ».

إِنَّ مَا أَسْمَعُ مِنْكَ لُغْزٌ غَامِضٌ مَجْهُولٌ، وَطَلَّسْمٌ خَفِيٌّ تَحَارُّ فِي فَهْمِهِ الْعُقُولُ.

فَمَا بِالْكَ تُلْغِرُ وَلَا تُقْسِحُ، وَتُنْعِضُ الْقُولَ وَلَا تُوَضِّحُ؟

فَأَجَابَهُ الدَّلَالُ: «إِنَّ هَذَا الْبِسَاطَ — لَوْ عَلِمْتَ — تُحْفَةُ التُّحَفِ، وَطُرْفَةُ الْطُّرُفِ، وَمَثَارُ الدَّهْشَةِ وَالْعَجَبِ».

إِنَّهُ بِسَاطُ الْرِّيحِ: يَطِيرُ بِكَ فِي الْفَضَاءِ، وَيَحْمِلُكَ إِلَى حَيْثُ تَشَاءُ، وَيَنْقُلُكَ مِنْ أَقْصَى الدُّنْيَا إِلَى أَقْصَاصَهَا فِي لَحَظَاتٍ، وَيَطْوِي الْأَفَاقَ الْبَعِيدَةَ فِي لَمَحَاتٍ؛ لَا تَعْوِقُهُ الْعَوَائقُ، وَلَا تَعْتَرِضُهُ الْعَقَبَاتُ، وَلَا تَقْفُ دُونَ غَايَتِهِ الْجِبَالُ الشَّامِخَاتُ.



بِرَبِّكِ إِلَّا مَا حَبَرْتَنِي: أَيُّ مِيزَةٍ فِيهِ تُغْرِي مَنْ يَقْتَنِي.

وَالآن حَبَرْتَنِي، بَعْدَ أَنْ عَرَفْتَ قِيمَتَهُ، وَأَدْرَكْتَ فَضْلَهُ وَمِيزَتَهُ إِلَّا تَرَى أَنَّ كُلَّ مَا يُدْفَعُ فِي ثَمَنِهِ مِنْ مَالٍ — مَهْمَا عَظُمَ — لَيْسَ بِالثَّمَنِ الْكَثِيرِ، بَلْ هُوَ بِالْقِيَاسِ إِلَيْهِ هَيْنَ يَسِيرُ.

### (١١) طِلْبَةُ الْأَمِيرِ

فَقَالَ الْأَمِيرُ «حُسَيْنٌ» فِي نَفْسِهِ: إِنَّا صَحَّ مَا يَقُولُ هَذَا الدَّلَالُ، فَقَدْ بَلَغْتُ طَلْبَتِي، وَحَقَّقْتُ رَغْبَتِي، وَظَلَفْرْتُ بِأُمْنِيَّتِي، وَحَصَّلْتُ عَلَى مَهِرِ زُوْجَتِي!

وَتَذَكَّرُ الْأَمِيرُ «حُسَيْنُ» مَا كَانَ قَدْ سَمِعَهُ مِنْ مَهَارَةِ أَهْلِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ فِي اسْتِخْرَاجِ سَوَائِلَ طَائِرَةِ مِنَ الْأَرْهَارِ وَالرَّيَاحِينِ، وَسَأَلَ نَفْسَهُ: أَيُّكُونُ هَذَا الْبِسَاطُ قَدْ اكْتَسَبَ خَاصِيَّةَ الْقُدْرَةِ عَلَى الطَّيْرَانِ، بِفَضْلِ احْتِوائِهِ عَلَى ذَلِكَ التَّرْكِيبِ الْعَجِيبِ، الَّذِي قِيلَ لِي إِنَّهُ إِذَا مَسَ شَيْئًا أَمْكَنَ أَنْ يَصْعَدَ فِي الْفَضَاءِ، وَتُسْرِعَ بِهِ الرِّيحُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ؟

وَمَدَ الْأَمِيرُ «حُسَيْنُ» أَنَّمَلَهُ إِلَى الْبِسَاطِ يَتَحَسَّسُهُ: فَالْفَاهُ رَقِيقُ النَّسْجِ، هَفَّاهَفُ الْحَوَاشِي، كَانَهُ الْحَرِيرُ أَوْ أَحَفُّ مِنَ الْحَرِيرِ مَلْمَسًا، وَأَنْعَمُ خُيُوطًا، وَهُوَ يَتَمَوَّجُ فِي يَدِ الدَّلَالِ، كَانَهُ يُحَاوِلُ الْإِفْلَاتِ مِنْ قَبْضَتِهِ، وَالْإِنْطِلَاقِ فِي الْهُوَاءِ!

نُمَّ التَّفَتَ الْأَمِيرُ «حُسَيْنُ» إِلَى الدَّلَالِ قَائِلًا: «إِنَّ صَحَّ مَا تَقُولُ، فَإِنَّ أَرْبِيعَنِي كِيسًا مِنَ الدَّهْبِ تُدْفَعُ شَمَنًا لِهَذَا الْبِسَاطِ لَيْسَتْ كَثِيرَةً عَلَيْهِ، مَتَى كَانَ أَمْرُهُ عَلَى مَا تَصِفُ!»

## (١٢) عَلَى بِسَاطِ الرِّيحِ

فَقَالَ لَهُ الدَّلَالُ: «إِنَّ مَا أَقُولُهُ لَكَ حَقُّ صَرَاحٍ. وَلَنْ أَقْبَلَ مِنْكَ شَيْئًا قَبْلَ أَنْ تُجْرِبَ، وَتَتَبَتَّبَ بِنَفْسِكَ مِنْ صِدْقٍ مَا أَقُولُ. وَقَدِيمًا قَالَتِ الْمَمْثَالُ: عِنْدَ الْإِمْتَحَانِ، يُكْرُمُ الْمَرْءُ أَوْ يُهَانُ. وَإِنِّي أَيُّهَا السَّيِّدُ الْفَاضِلُ أَحِبُّ الْأَيْوَفَ شَيْئًا حَائِلًا بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَفْتَنَاءِ الطُّرْفَةِ النَّفِيسَةِ الْفَاخِرَةِ، وَالظَّفَرِ بِالْتُّحْفَةِ النَّادِرَةِ.»

وَقَفَ الْأَمِيرُ مُتَعَجِّبًا أَمَامَ مَا سَمِعَ مِنَ الدَّلَالِ. لَمْ يَكُدِ الدَّلَالُ يَشْهُدُ حِيرَةً الْأَمِيرِ، حَتَّى أَدْرَكَ أَنَّهُ عَاجِزٌ عَنْ دَفْعِ شَمَنِ الْبِسَاطِ فَالْتَّفَتَ إِلَيْهِ الدَّلَالُ قَائِلًا: «أَغْلُبُ الظَّنِّ أَنَّ مَا أَطْلَبُهُ — شَمَنًا لِبِسَاطِ الرِّيحِ — لَيْسَ فِي حَوْزَتِكَ الْآنِ.. فَلِيَحْمِلُنَا هَذَا الْبِسَاطُ — إِذَا أَمْرَتَ — إِلَى حَيْثُ تُقِيمُ؛ لِتُحْضِرَ شَمَنَهُ مِنَ الْفُندُقِ وَتَتَحَقَّقَ — فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ — مِنْ صِدْقِ مَا حَدَّثْتُكَ بِهِ. فَكَيْفَ تَقُولُ؟»

## الفَصْلُ الثَّانِي

ابْنَهُجَّ الْأَمِيرُ «حُسَيْنٌ» بِمَا سَمِعَ مِنَ الدَّلَالِ، وَلَمْ يَتَرَدَّدْ فِي قَبُولِ افْتِرَاجِهِ.



بِسَاطُ الرِّيحِ يَحْمِلُ الْأَمِيرَ «حُسَيْنًا» وَالدَّلَالَ.

جَاسَ الدَّلَالُ عَلَى بِسَاطِ الرِّيحِ، وَوَقَفَ الْأَمِيرُ «حُسَيْنٌ» إِلَى جَانِبِهِ.  
وَأَضْمَرَ الْأَمِيرُ فِي نَفْسِهِ رَغْبَتَهِ فِي أَنْ يَطِيرَ بِهِ الْبِسَاطُ الْعَجِيبُ فِي أَجْوَازِ الْفَضَاءِ، إِلَى  
حَيْثُ شَاءَ.

وَمَا كَادَ الْأَمِيرُ وَالدَّلَالُ يَسْتَقِرَانَ عَلَى الْبِسَاطِ، حَتَّى طَارَ بِهِمَا فِي الْفَضَاءِ، وَبَلَغَ الْفُندُقَ  
فِي مِثْلِ وَمُضْعَةِ الْبَرْقِ، أَوْ لَمْحَةِ الْبَصَرِ.  
وَنَظَرَ الدَّلَالُ إِلَى الْأَمِيرِ «حُسَيْنٌ» نَظَرَةً ذَاتَ مَعْنَى، وَكَانَهُ يَقُولُ لَهُ: «الآنَ قَدْ تَبَيَّنَ لَكَ  
أَنِّي صَدَقْتُكَ فِيمَا أَخْبَرْتُكَ بِهِ، وَأَنِّي لَمْ أَكُنْ بِالْكَاذِبِ وَلَا بِالْمُدَّاعِيِّ».

## (١٣) إِتَّمَامُ الصَّفْقَةِ

وَلَا تَسْلُ عَنْ دَهْشَةِ الْأَمِيرِ «حُسَيْنٌ» وَعَجَبَهُ مِمَّا شَهَدَ، وَفَرَحَهُ بِاَهْتِدَاهِهِ إِلَى النَّفِيَّةِ الْفَدَّةِ الَّتِي لَمْ يَكُنْ يَحْلُمُ بِهَا.

وَقَدْ شَكَرَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - عَلَى أَنْ هَيَّأَهُ فُرْصَةً مُوَاتَيَّةً لِلظَّفَرِ بِأُمْنِيَّتِهِ، دُونَ أَنْ يَتَجَشَّمَ فِي الْحُصُولِ عَلَيْهَا مَشَقَّةً أَوْ عَنَاءً.

وَأَسْرَعَ الْأَمِيرُ - مِنْ فَوْرِهِ - بِإِلْتَقَامِ الصَّفْقَةِ.

وَلَمْ يَكُنَّ الْأَمِيرُ يَدْفَعُ أَرْبِيعَنِ كِيسَا - فِي ثَمَنِ الْبِسَاطِ الْعَجِيبِ - كَمَا طَلَبَ الدَّلَالُ؛ بَلْ مَنَحَهُ كِيسَا مِنَ الْذَّهَبِ؛ لِيُتَبَّتْ لَهُ إِعْجَابُهُ وَابْتِهَاجُهُ بِمَا أَظْفَرَهُ بِهِ، وَيُعَرَّبَ عَنْ تَقْدِيرِهِ لِمَا أَدْخَلَهُ الدَّلَالُ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الْبَهْجَةِ بِمَا قَدَّمَ إِلَيْهِ مِنْ طَرْفَةٍ فَرِيدَةٍ الْمِثَالِ.

فَشَكَرَ لَهُ الدَّلَالُ مَا بَدَلَ مِنْ عَطَاءِ، وَأَشْتَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ مِنَ الثَّنَاءِ. وَقَالَ لَهُ وَهُوَ يُوَدِّعُهُ: «حَذَارٍ يَا سَيِّدِي أَنْ تَتَهَاوَنَ بِهَذَا الْبِسَاطِ، فَإِنَّهُ شَرْمَةُ جُهُودِ جَبَارَةٍ فِي الْكِتَسَابِ خَاصَّيَّةِ الْقُدْرَةِ عَلَى الطَّيَّارِ، وَإِنَّهُ بِذَلِكَ يُعْدُ آيَةً نَادِرَةً فِي مَجَالِ الْإِخْرَاجِ وَالْإِبْتِكَارِ. وَقَدْ أَصْبَحَ الْأَنَّ مِلْكَ يَدِيْكَ، فَاجْعَلِ الْمُحَافَظَةَ عَلَيْهِ نُصْبَ عَيْنِكَ».

## (١٤) مُوَاصِلَةُ الدَّرَسِ

وَأَرَادَ الْأَمِيرُ «حُسَيْنٌ» أَنْ يَعُودَ إِلَى بَلَدِهِ، وَلِكِنَّهُ ذَكَرَ الْعَهْدَ الَّذِي أَخَذَ نَفْسَهُ بِهِ أَمَامَ أَخْوَيْهِ؛ فَقَدْ تَعَااهَدَ الْإِخْوَةُ الْثَّلَاثَةُ عَلَى أَنْ يَلْتَقُوا جَمِيعًا - أَخْرَ الْعَامِ - فِي مُفْتَرِقِ الطُّرُقِ الَّذِي انتَهَى إِلَيْهِ سَيِّرُهُمْ مُجْتَمِعِينَ، قَبْلَ أَنْ يَسْتَأْنِفُوا رَحْلَتَهُمْ مُتَفَرِّقِينَ! فَقَرَرَ الْأَمِيرُ «حُسَيْنٌ» أَنْ يَقْضِي الْأَشْهُرَ الْبَاقِيَّةَ مِنَ الْعَامِ فِي دَرْسِ عَادَاتِ الْمَدِينَةِ وَأَحْوَالِهَا.

(١٥) في حَضْرَةِ الْمَلِكِ

وَقَدْ عِلِّمَ الْأَمِيرُ أَنَّ مَلِكَ «بِسْنَجَارَ» يَسْتَقْبِلُ التُّجَارَ الْغُرَبَاءَ كُلَّ أَسْبُوعٍ فِي يَوْمٍ بَعِينَهُ؛ لِيَتَعَرَّفَ إِلَيْهِمْ، وَيُفَيِّدَ مِنْ آرَائِهِمْ، وَيَقِبِّسَ مِنْ عِلْمِهِمْ وَتَجَارِيَهُمْ مَا يَنْفَعُ بَلَدَهُ. فَلَمْ يُضِعِ الْأَمِيرُ «حُسَيْنٌ» تِلْكَ الْفُرْصَةَ، بَلْ ذَهَبَ إِلَيْهِ.. وَدَارَتْ بَيْنَهُمْ طَرَائِفُ مِنَ الْمَعْلُومَاتِ، وَلَطَائِفُ مِنَ الْمَعَارِفِ، وَبَدَائِعُ مِنَ الْفَوَادِ، اتَّهَتْ بِأَنَّ أَعْجَبَ كُلَّهُمَا بِالْآخَرِ؛ لِمَا تَمَيَّزَ بِهِ مِنْ رَجَاحَةِ عَقْلٍ، وَعُمْقِ تَفْكِيرٍ، وَأَصَالَةِ رَأْيٍ، وَوَقْرَةِ فَضْلٍ.



الْأَمِيرُ «حُسَيْنٌ» بَيْنَ يَدَيِّ مَلِكِ «بِسْنَجَارَ».

ولَمْ يَقُتِ الْأَمِيرُ «حُسَيْنًا» أَنْ يَقْبِسَ مِنْ آرَاءِ مَلِكِ الْمَدِينَةِ الْعَظِيمِ فُنُونًا مِنَ الْإِصْلَاحِ،  
تَعْوُدُ عَلَى الشَّعْبِ بِالْخَيْرِ وَالْفَلَاحِ، وَتَهْيَئُ لَهُ طَرَائِقَ الْفُوزِ وَالنَّجَاحِ.  
كَمَا لَمْ يَقُتِ الْأَمِيرُ أَنْ يَسْتَرِشدَ بِآرَاءِ مَلِكِ الْمَدِينَةِ، وَيَقْبِسَ مِنْ تَوْجِيهَاتِهِ الْحَكِيمَةِ  
فُنُونًا مِنْ أَسَالِيبِ حَيَاتِهِ الْحَافِلَةِ بِالْتَّجَارِبِ الرَّشِيدَةِ، وَمَزَايَاهُ النَّادِرَةِ الْفَرِيدَةِ.  
وَأَعْجَبَ الْأَمِيرُ «حُسَيْنًا» بِمَا أَخْبَرَهُ بِهِ الْمَلِكُ مِنْ أَنَّهُ يَعُدُّ نَفْسَهُ خَادِمًا لِلشَّعْبِ، وَأَنَّ  
لِلشَّعْبِ حُقُوقًا مُقدَّسَةً يَحْبُّ أَنْ تُرْتَعِي، وَأَنَّ مَنْ خَانَ أَمَانَةَ هَذِهِ الْحُقُوقِ جَدِيرٌ بِأَنْ يُقْصَى.

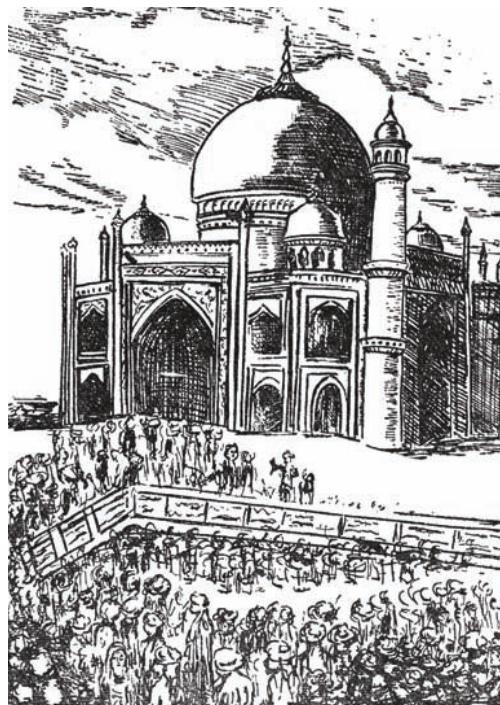
## (١٦) آثار الْهِنْدِ

وَقَضَى الْأَمِيرُ «حُسَيْنًا» مَا بَقَى مِنْ أَيَّامِهِ بَيْنَ آثارِ الْهِنْدِ، بِاِحْتِنَامِ مُنْقَبَى؛ فَرَأَى مَا أَدْهَشَهُ،  
وَمَلَأَ نَفْسَهُ إِعْجَابًا وَسُرُورًا وَخَرَجَ – مِنْ دِرَاسَتِهِ – بِنَتْائِجِ بَاهِرَةٍ.  
وَكَانَ فِيمَا رَأَاهُ الْأَمِيرُ «حُسَيْنًا» مِنْ آثارِ الْمَدِينَةِ مَعْبُدٌ مُرَبَّعٌ مِنَ النُّحَاسِ، طُولُ ضَلْعِهِ  
خَمْسَةُ أَمْتَارٍ، وَأَرْتِفَاعُهُ أَثْنَا عَشَرَ مِتْرًا، وَفِيهِ دُمْيَةٌ بِدِيْعَةِ الصُّنْعِ، فِي حَجْمِ الرَّجُلِ الْعَادِيِّ  
وَهِيَ مَصْنُوعَةٌ مِنَ الْذَّهَبِ الْبَرِيزِ (الْخَالِصِ)، وَعِينَاهَا يَاقُوتَاتٌ مِنْ أَنْفُسِ الْيَوْاقِيتِ، وَقَدْ  
رُكِبَتَا بِطَرِيقَةٍ هَنْدِسِيَّةٍ عَجِيبَةٍ، بِحِيثُ تَبَدُّوَانِ لِمَنْ يَرَاهُمَا فِي أَيِّ مَكَانٍ يَجْلِلُ فِيهِ مِنَ الْمَعْبِدِ.

## (١٧) كَعْبَةُ الْهُنْدُوِّ

وَرَأَى الْأَمِيرُ الْبَاحِثُ الذَّكِيُّ – فِيمَا رَأَاهُ مِنْ عَجَابِ الْمَدِينَةِ الْعَاجِبَةِ – مَعْبَدًا آخَرَ رَائِعًا  
فِي إِحْدَى ضَوَّاحِهَا.

كَانَ الْمَعْبُدُ الْعَظِيمُ مُشَيَّدًا فِي وَسْطِ سَهْلٍ فَرِسِيحٍ، لَا يَقْلُ طُولُهُ عَنْ عَشْرَةِ فَدَادِينَ.  
وَكَانَ مِمَّا اسْتَرْعَى اِنْتِبَاهَهُ أَنَّهُ حَافِلٌ بِالْوَانِ الزَّهْرِ وَالْوَرْدِ وَالرَّيَاحِينِ الَّتِي يَنْدُرُ  
وُجُودُهَا فِي غَيْرِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ، وَلَا يَكُادُ الْإِنْسَانُ يَرَى مَا يُمَاثِلُهَا جَمَالًا وَرَوْعَةً وَعَطْرًا.  
وَكَانَ السُّورُ – الَّذِي يُحِيطُ بِالْمَعْبِدِ الْفَسِيحِ – لَا يَرْتَفَعُ عَنِ الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا، كَانَّمَا  
قَصَدَ إِلَى ذَلِكَ مُهَدِّسُوهُ قَصْدًا، حَتَّى لَا يَحْجُبَ السُّورُ جَمَالَ الْمَعْبِدِ وَالْحَدِيقَةِ.  
وَلَمْ يَقُتِ الْأَمِيرُ «حُسَيْنًا» أَنْ يُبْهِجَ نَفْسَهُ، وَيَمْلِأَ نَاظِرِيهِ بِرُؤْيَةِ قُبَّةِ الْمَعْبِدِ الْأَنِيْقَةِ  
الصُّنْعِ، وَهِيَ تَرْتَفَعُ – ذَاهِبَةً فِي الْجَوَّ – إِلَى أَكْثَرِ مِنْ خَمْسَةِ وَعَشْرِينَ مِتْرًا.



جُمُوعُ الْهُنْدُ تَحْجُّ إِلَى الْمَعْبِدِ..

وَلَمْ يُضْعِفْ الْأَمِيرُ هَذِهِ الْفُرْصَةَ، فَأَسْرَعَ بِدُخُولِ الْقُبَّةِ؛ فَوَجَدَهَا مُوَشَّأً مِنَ الدَّاخِلِ بِشَتَّى الْأَوَانِ الْفَقِيشِ وَبِكَابِيْعِ النَّصَاوِيرِ، وَغَرَابِبِ الْتَّهَاوِيلِ (الْأَوَانِ الْمُخْتَلَفَةِ).  
وَعَلِمَ أَنَّ هَذَا الْمَعْبِدَ يَحْجُّ إِلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ الْهُنْدُوْيِّينَ فِي مَوْسِمِ سَنَوِيٍّ، وَيُقَدِّمُونَ إِلَيْهِ النُّذُورَ وَالْقَرَابَيْنَ، وَلَيْسَ لِأَهْلِ هَذِهِ الضَّاحِيَّةِ مَصْدَرٌ لِلرِّزْقِ، إِلَّا مَا يَعْمَرُهُمْ بِهِ الْحُجَّاجُ فِي ذَلِكَ الْمَوْسِمِ السَّنَوِيِّ مِنَ الْهَدَائِيَا، وَيَخْتَصُّونَهُمْ بِهِ مِنَ الْعَطَائِيَا.

## (١٨) بَدَائِعُ النَّقْشِ

وَقَدْ شَهَدَ الْأَمْيْرُ «حُسَيْنٌ» الْمِهْرَجَانُ السَّنَوَيُّ الْكَبِيرُ، الَّذِي يُقِيمُهُ الْهِنْدُوُونَ فِي مَدِينَةِ «سُسْجَارٍ»، وَرَأَى كَيْفَ تَوْمَهُ الطَّوَافِئُ، وَتَحْجُجُ إِلَيْهِ مِنْ جَمِيعِ الْبَلْدَانِ، قَاصِيَّةً وَدَانِيَّةً. فَإِذَا بَلَغَتُهُ جُمُوعُ الْحُجَّاجِ، جَلَسَتْ وُفُودُهَا عَلَى مَقَاعِدِ أَنْيَقَةِ الصُّنْعِ، مُرْيَةً بِبِدِيعِ التَّصَاوِيرِ، وَرَأَيْتُ التَّمَاثِيلَ، مَنْقُوشَ عَلَيْهَا كُلُّ أَنْوَاعِ الْوَحْشِ وَالْطَّيْرِ وَالْحَسَرَاتِ. وَقَدْ تَأَنَّقَ فِي رَسِيمَهَا وَنَقَشَهَا أَبْرُزُ الْمُصَوِّرِينَ، وَتَبَارَى فِي إِبْدَاعِهَا وَنَحْتِهَا أَشْهُرُ الْفَنَانِينَ، وَأَمْهَرُ الْمُتَالِلِينَ.

وَحَالَفُهُمُ التَّوْفِيقُ فِيمَا رَسَمُوا وَنَقَشُوا وَأَبْدَعُوا، وَلَمْ يَفْتَهُمْ تَصْوِيرُ الْحَشَرَاتِ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهَا، وَتَبَارَى أَجْنَاسِهَا وَأَلْوَانِهَا، وَلَمْ يَسْتَنِتُوا مِنْهَا شَيْئًا حَتَّى الْذِبَابَ وَالْبَعْوضَ. وَكَانَ الْقَائِمَينَ عَلَى أَمْرِ الْمَعْيَدِ، أَرَادُوا بِذَلِكَ أَنْ يُشْعِرُوا الْمُشْتَرِكِينَ فِي ذَلِكَ الْمِهْرَجَانِ الْدِينِيِّ الْعَظِيمِ، بِأَنَّ كُلَّ الْكَائِنَاتِ وَالْمُخْلُوقَاتِ تُشَارِكُهُمْ فِي احْتِفالِهِمُ الْكَبِيرِ، وَتُقَاسِمُهُمُ الْفَرَحَ وَالسُّرُورَ.

وَهَكَذَا بَدَا الْمِهْرَجَانُ الْدِينِيُّ الْكَبِيرُ، وَكَانَهُ مَعْرِضٌ لِلرَّسِيمِ وَالنَّقْشِ وَالْتَّصَوِيرِ، فِيهِ تَتَجَلَّ آيَاتُ الْفَنِّ، وَتَتَوَضَّحُ بَرَاعَةُ الْفَنَانِ فِي اسْتِخْدَامِ الْأَلْوَانِ.

## (١٩) رَقْصُ الْفِيَّاهِ

وَكَانَ فِيمَا رَأَاهُ الْأَمْيْرُ جَمْهَرَةُ مِنَ الْفِيَّاهِ فِي أَحَدِ جَوَابِ الْمَيْدَانِ الْفَسِيْحِ. وَقَدْ اسْتَرْعَى اِنْتِبَاهُ الْأَمْيْرِ أَنْ رَأَى عَلَى ظَهِيرِ كُلِّ مِنْهَا هَوْدَجًا أَنِيقًا، مُسْتَطِيلَ الشَّكْلِ، بَارِعِ الصُّنْعِ، يَسْسَعُ لِجُلُوسِ شَخْصَيْنِ. وَكَانَتِ الْفِيَّاهُ تَسِيرُ فِي نِيَّاطِ عَجِيبٍ، عَلَى مَسَافَاتٍ مُّتَقَارِبَةٍ قَصِيرَةٍ.

وَلَمَّا عَرَفَتِ الْمُوْسِيْقِيَّ، تَقَدَّمَ الصُّفُوفَ كَبِيرُ الْفِيَّاهِ وَزَعِيمُهَا، حَتَّى وَصَلَ إِلَى جُذُعِ شَجَرَةٍ مُّنْبَتِّ فِي الْأَرْضِ عَلَى ارْتِفَاعِ قَدْمَيْنِ.

فَوَضَعَ الْفِيلُ عَلَيْهِ أَقْدَامَهُ الْأَرْبَعَةَ، وَظَلَّ يُدِيرُ خُرْطُومَهُ وَيُحَرِّكُهُ، وَيَهْزِهُ وَيُرْقِصُهُ — فِي رَشَاقَةٍ بَارِعَةٍ — عَلَى تَوْقِيعِ الْمُوسِيقِيِّ.

وَوَقَفَ الْأَمِيرُ يَنْتَظِرُ إِلَى الْفِيلِ، مُعْجَبًا بِمَا يُوَدِّيهِ مِنَ الْحَرَكَاتِ.. وَمَا هِيَ إِلَّا لَحَظَاتٌ حَتَّى رَأَى فِيلًا آخَرَ يَقْفُ عَلَى لَوْحٍ كَبِيرٍ مَوْضِعٍ فَوْقَ حَشَبَةِ، كَانَهُ سُنُّ مِنْ شَارِ، وَقَدْ رَقَصَ الْفِيلُ وَتَهَرَّبَ عَلَى ذَلِكَ الْلَّوْحِ الَّذِي يَتَرَجَّحُ فَوْقَ حَدِّ الْخَشَبَةِ..

وَظَلَّ الْفِيلُ الرَّاقِصُ فِي ارْتِفَاعٍ وَانْخِفَاضٍ حَتَّى حَيَرَ لَبَّ الْأَمِيرِ، وَمَلَكَ عَلَيْهِ عَقْلَهُ.

فَأَشْتَدَّ إِعْجَابُهُ بِالْمُرَوْضِينَ الْمَهَرَةِ الَّذِينَ اسْتَطَاعُوا أَنْ يُدْرِبُوا الْفِيلَةَ عَلَى هَذِهِ الْحَرَكَاتِ.

## (٢٠) عَوْدَةُ الْأَمِيرِ

وَهَكَذَا مَرَّتِ الْأَيَّامُ مُتَعَاقِبَةً دُونَ أَنْ يَشْعُرَ الْأَمِيرُ بِانْقِضَائِهَا، لِوَفْرَةِ مَا رَأَهُ مِنَ الْعَجَابِ وَالْطُّرُفِ الَّتِي تَبْهَرُ الْعَيْنَ، وَتَشَرُّحِ الصَّدْرِ.

حَتَّى إِذَا انْصَرَمَ الْعَامُ أَوْ كَادَ، رَأَى الْأَمِيرُ «حُسَيْن» أَنَّ الْوَقْتَ قَدْ حَانَ لِلرَّحِيلِ؛ فَرَكِبَ هُوَ وَتَابِعُهُ مَتْنَ الْبِسَاطِ الْعَجِيبِ، وَأَصْمَرَ الْأَمِيرُ فِي نَفْسِهِ رَغْبَتَهُ فِي أَنْ يَدْهَبَ بِهِ الْبِسَاطُ إِلَى الْفَنْدُقِ الَّذِي تَعاهَدَ مَعَ أَخْوَيْهِ عَلَى الْاجْتِمَاعِ فِيهِ بَعْدَ عَامٍ.

وَسُرْعَانَ مَا طَارَ الْبِسَاطُ بِهِ إِلَى حَيْثُ أَرَادَ، طَاوِيَا أَبْعَدَ الْمَسَافَاتِ، فِي لَحَظَاتٍ خَاطِفَاتٍ.

وَلَمَّا بَلَغَ الْأَمِيرُ «حُسَيْن» مُفْتَرَقَ الْطُّرُقِ — حَيْثُ وَدَعَ أَخْوَيْهِ، مُنْذُ عَامٍ — حَلَّ فِي الْفُنْدُقِ قَبْلَهُمَا، وَهُوَ عَازِمٌ عَلَى أَنْ يَسْتَقْبِلَهُمَا فِيهِ، وَيُفَاجِهُمَا بِمَا أَظْفَرَهُ بِهِ التَّوْفِيقُ مِنْ طُرْفَةٍ عَدِيمَةِ الْمِثَالِ، بَعْدَ أَنْ كَابَدَ — فِي رِحْلَتِهِ الطَّوِيلَةِ الْمُضْنِيَّةِ — ضُرُوبًا مِنَ الْمَشَاقِ وَالْأَهْوَالِ، يَنْوُءُ بِهَا الصَّبْرُ وَالْاحْتِمَالُ.

وَكَانَ الْأَمِيرُ «حُسَيْن» مُوْفَورَ الثَّقَةِ بِأَنَّ أَخْوَيْهِ لَنْ يَظْفَرَا بِطُرْفَةٍ فِي غَرَابَةِ طُرْفَتِهِ، وَلَنْ يَحْصُلَا عَلَى عِجِيبَةِ نَفَاسَةِ عِجِيبَتِهِ.



زَعِيمُ الْفِيلَةِ يَقْفُ عَلَى جَذْعِ شَجَرَةِ.

## الفَصْلُ الثَّالِثُ

### (١) مَعَ الْقَافِلَةِ

أَمَّا الْأَمِيرُ «عَلِيُّ» فَقَدْ سَلَكَ — بَعْدَ أَنْ وَدَعَ أَخَوِيهِ — الطَّرِيقَ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى مَدِينَةِ «شِيرَازَ»، وَهِيَ مِنْ أَشْهَرِ مَدَائِنِ الْفُرْسِ.

وَكَانَ مِنْ دَلَائِلِ تَوْفِيقِهِ أَنْ وَجَدَ — فِي طَرِيقِهِ — قَافِلَةً كَبِيرَةً، تَسِيرُ مُتَّجِهَةً إِلَى تِلْكَ الْمَدِينَةِ.

فَاسْتَأْذَنَ رِجَالَ الْقَافِلَةِ فِي أَنْ يَصْبِحَهُمْ فِي رِحْلَتِهِمْ إِلَى مَدِينَةِ «شِيرَازَ» فَرَحَّبُوا بِهِ أَكْرَمَ تَرْحِيبِ.

وَفَرَّحَ الْأَمِيرُ بِلِقَاءِ تِلْكَ الْقَافِلَةِ، وَاطْمَأَنَّ إِلَى أَنَّهُ وَاصِلٌ فِي صُحبَتِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمَنْشُودَةِ، دُونَ أَنْ يَضِلَّ الطَّرِيقَ، أَوْ تَحُولَ الْعَوَاقِفُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْوُصُولِ.

### (٢) فِي مَدِينَةِ «شِيرَازَ»

وَقَدْ أَتَمَ الْأَمِيرُ «عَلِيُّ» رِحْلَتَهُ الطَّوِيلَةِ الشَّاقَّةِ فِي أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ كَامِلَةً، ثُمَّ حَلَّ — فِي نِهايَتِهَا — مَدِينَةُ «شِيرَازَ».

وَشَكَرَ الْأَمِيرُ لِرُفْقَةِ الطَّرِيقِ، مَا لَقِيَ مِنْ مَعْوِنَتِهِمُ الْكَرِيمَةِ، وَصُحْبَتِهِمُ الْأَنْيَسَةِ، حَتَّى لَقَدْ كَانَتِ الرِّحْلَةُ مَعَهُمْ نُزْهَةً طَيِّبَةً.

وَمَا كَادَ الْأَمِيرُ يَسْتَقِرُّ فِي الْمَدِينَةِ، حَتَّى سَأَلَ عَنْ فَنَادِقِهَا الْمُمْتَارَةِ.. فَلَمَّا دَلُوْهُ عَلَيْهَا احْتَازَ وَاحِدًا مِنْهَا، وَأَكْتَرَى حُجْرَةً فِيهِ.

وَاقْتَدَى بِهِ كَثِيرٌ مِنْ صَحَابَتِهِ، فَخَلُوا مَعَهُ فِي حُجَّرَاتِ الْفُنْدُقِ الرَّحِيبَةِ.

## (٣) في مَتْجَرِ كَبِيرٍ

ولَمَّا جَاءَ الْيَوْمُ التَّالِي، حَرَجَ الْأَمِيرُ «عَلَيْ» يَرْتَادُ أَسْوَاقَ الْمَدِينَةِ، وَيَجُولُ فِي أَنْحَائِهَا، وَيَتَعَرَّفُ مَفَاتِنَهَا، وَيَدْرُسُ أَعَاجِبَهَا.

وَتَبَيَّنَ لِلْأَمِيرِ «عَلَيْ» أَنَّ أَهْلَ هَذِهِ الْمَدِينَةِ قَدْ تَفَنَّنُوا تَفَنُّنًا كَبِيرًا فِي الصَّنَاعَاتِ الدِّقِيقَةِ. وَفِي مُقْدَمَةِ الصَّنَاعَاتِ الَّتِي تَفَنَّنُوا فِيهَا صِنَاعَةُ الزُّجَاجِ فِي أَنْوَاعِهِ الرِّفِيقَةِ، وَأَشْكَالِهِ التَّنْفِيسَةِ. فَإِنَّهُ شَهَدَ فِي الْأَسْوَاقِ الْوَاحِدَةِ زُجَاجَيَّةً مُلْوَّنةً، مِنْهَا الْأَحْمَرُ كَالْزُمْرُدِ، وَمِنْهَا الْأَحْمَرُ كَالْعِقِيقِ، وَمِنْهَا الْوَاحِدَةِ مُرَكَّبَةٌ مِنْ الْوَانِ عَدَّةٍ، إِذَا سَقَطَ عَلَيْهَا الضَّوْءُ بَدَّتْ كَانَهَا أَحْجَارُ الْمَاسِ الَّتِي تَنَمَّوْجُ الْوَانِهَا، فَتَسْخَرُ الْأَبْصَارَ، وَتَخْلُبُ الْأَلْبَابَ.

وَعَرَفَ الْأَمِيرُ «عَلَيْ» مِمَّا شَاهَدَهُ فِي الْأَسْوَاقِ أَنَّ أَرْوَعَ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ أَهْلُ الْمَدِينَةِ فِي صِنَاعَةِ الزُّجَاجِ، هُوَ أَنَّهُمْ اسْتَخَدُمُوا الْبِلَوْرَ فِي صُنْعِ نَظَارَاتِ عَجِيبَةٍ، مِنْهَا مَا يُقْرَبُ الْبَعِيدَةِ، وَمِنْهَا مَا يُبَعِّدُ الْقَرِيبَ.

فَاسْتَقَرَ رَأْيُ الْأَمِيرِ «عَلَيْ» عَلَى أَنْ يَنْقُلَ إِلَى بَلَدِهِ صِنَاعَةَ الزُّجَاجِ وَالْبِلَوْرِ الَّتِي امْتَازَتْ بِهَا هَذِهِ الْمَدِينَةُ؛ فَهِي صِنَاعَةٌ جَمِيلَةٌ إِلَى جَانِبِ أَنَّهَا مُفِيدَةٌ، وَلَيْسَ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنَّ يَظِلَّ الْتَّقْتُّلُ بِهَا وَالْاسْتِفَادَةُ مِنْهَا مَقْصُورَيْنِ عَلَى قَوْمٍ دُونَ قَوْمٍ؛ فَالْمَكَاسِبُ الْإِنْسَانِيَّةُ فِي الْحَضَارَةِ وَالْمَدِينَةِ مِلْكُ لِتَبَيِّنِ الْإِنْسَانِ، فِي كُلِّ مَكَانٍ!

وَقَدِ انْتَهَى الْمَطَافُ بِالْأَمِيرِ «عَلَيْ» إِلَى سُوقِ الْلَّالِي وَالْتُّحَفِ، فَرَأَى مِنْ قُنُونِ النَّفَائِسِ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَخْطُرْ لَهُ عَلَى يَالِ.

تُمَّ جَلَسَ الْأَمِيرُ «عَلَيْ» فِي مَتْجَرِ كَبِيرٍ؛ لِيَسْتَرِيحَ مِنْ عَنَاءِ السَّيْرِ الطَّوِيلِ. وَرَأَى التَّاجِرُ فِي قَسَمَاتِ وَجْهِ الْأَمِيرِ «عَلَيْ» سَمَاحَةً وَبَشَاشَةً؛ فَرَحِبَ بِهِ، وَحَيَّاهُ وَأَكْرَمَ وَفَادَتَهُ، دُونَ أَنْ يَعْرِفَ مَنْصِبَهُ وَمَكَانَتَهُ.. وَمَا زَالَ التَّاجِرُ بِالْأَمِيرِ، يُلَاطِفُهُ فِي الْحَدِيثِ، وَيَعْرِضُ عَلَيْهِ اسْتِعْدَادَهِ لِخِدْمَتِهِ، حَتَّى أَنْسَ بِهِ الْأَمِيرُ وَارْتَاحَ لَهُ.

#### (٤) الأنبوب العاجي

وَمَا كَادَ الْأَمِيرُ «عَلَيْهِ» يَسْتَقِرُ بِهِ الْجُلُوسُ، حَتَّى سَمِعَ مُنَادِيًّا يَصِيحُ فِي السُّوقِ، وَيُنَادِي بِصَوْتٍ عَالٍ، قَائِلًا: ثَلَاثُونَ كِيسًا مِنَ الْذَّهَبِ، فَمَنْ يَزِيدُ؟ أَيْنُ ذُو الْحَظْ السَّعِيدِ، الَّذِي يُسْرِعُ إِلَى الْمُزِيدِ؟ فَالْتَّفَتَ الْأَمِيرُ «عَلَيْهِ» إِلَى الدَّلَالِ، فَلَمْ يَرِدْ فِي يَدِهِ شَيْئًا غَيْرَ أَنْبُوبٍ صَغِيرٍ مِنَ الْعَاجِ، طُولُهُ لَا يَزِيدُ عَلَى قَدْمٍ وَاحِدَةٍ، وَقُطْرُهُ لَا يَزِيدُ عَلَى بُوْصَةٍ وَاحِدَةٍ. وَأَبْدَى الْأَمِيرُ لِلتَّاجِرِ دَهْشَتَهُ مِنْ ذَلِكَ الدَّلَالِ. لَقْدْ خُلِّيَ إِلَيْهِ أَنَّ الدَّلَالَ يَمْزُحُ وَلَا يَجِدُ فِيمَا يَقُولُ. وَإِلَّا يَكُنَّ ذَلِكَ كَذِلِكَ، فَقَدْ أَصَابَ الرَّجُلَ بِلَا رَيْبٍ مَسْ مِنَ الْجُنُونِ، أَوْ اخْتَلَطَ (دَهْبٌ عَقْلُهُ).

#### (٥) حِدِيثُ التَّاجِرِ

وَالْتَّفَتَ الْأَمِيرُ «عَلَيْهِ» إِلَى التَّاجِرِ، يَسْأَلُهُ وَقَدْ بَلَغَ مِنْهُ الْعَجَبُ كُلَّ مَبْلَغٍ: «كَيْفَ تَقُولُ فِي هَذَا الدَّلَالِ الْأَبْلَهِ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يَبْيَعَ أَنْبُوبًا عَاجِيًّا صَغِيرًا لَا يُسَاوِي بِضْعَةَ دَنَانِيرٍ، بِأَكْثَرِ مِنْ ثَلَاثَيْنَ كِيسًا مِنَ الْذَّهَبِ؟» فَقَالَ لَهُ التَّاجِرُ: «أَنْتَ – يَا سَيِّدِي – عَلَى حَقٍّ فِي دَهْشَتِكَ مِمَّا تَسْمَعُ وَحَيْرَتِكَ، فَالْأَنْبُوبُ الْعَاجِيُّ فِي مَظْهَرِهِ لَا يُسَاوِي ذَلِكَ الْمِقْدَارَ الْكَبِيرَ مِنَ الْمَالِ. لَقَدْ أَسْتَوْلَى عَلَيَّ الْعَجَبُ وَالدَّهْشُ، كَمَا أَسْتَوْلَى عَلَيْكَ، حِينَ سَمِعْتُ مَا يَصِيحُ بِهِ الدَّلَالُ. وَلَكِنْ، لَعَلَّ فِي الْأَمْرِ سِرًا مَحْجُوبًا عَنَا! فَهَذَا الدَّلَالُ مَعْرُوفٌ بَيْنَنَا – طُولَ حَيَاتِهِ – بِالصَّدِيقِ وَالْأَمَانَةِ وَالْفِطْنَةِ وَالزَّكَانَةِ (الْفِرَاسَةِ).

وَلَيْسَ بَيْنَ أَهْلِ حِرْفَتِهِ مِنَ الدَّلَالِيَّنَ مَنْ يَفْوَقُهُ فِي مَنْزِلَتِهِ.

لَقَدْ عَرَفْتُهُ مُنْذُ سَنَوَاتٍ طِوَالٍ، وَمَا جَرَبْتُ عَلَيْهِ كِذْبَةً قَطُّ، وَلَا عَرَفَ النَّاسُ عَنْهُ خُدْعَةً فِيمَا سَأَفَ.



الْأَمِيرُ يُبَدِّي لِلنَّاجِرِ دَهْشَتَهُ مِنَ الدَّلَالِ.

وَطَالَمَا حَالَفُهُ الْفَوْزُ وَالنَّجَاحُ فِي الْحُصُولِ عَلَى نَفَائِسِ مِنَ الْطُّرُفِ الْغَرِيبَةِ النَّادِرَةِ،  
وَرَوَائِعَ مِنَ التُّحَفِ الْعَجِيْبَةِ الْبَاهِرَةِ؛ حَتَّى أَطْلَقَ عَلَيْهِ التُّجَارُ لَقَبَ: دَلَالِ التُّحَفِ، وَصَيَّادِ  
الْطُّرُفِ.

وَقَدْ أَثْبَتَتِ التَّجْرِيْبَةُ الطَّوِيلَةُ الْمُتَكَرِّرَةُ أَنَّهُ بَارِعٌ خَيْرٌ، وَأَنَّهُ بِثَقَتِنَا جَدِيدٌ».

## (٦) الْمِنْظَارُ الْعَاجِيُّ

فَقَالَ الْأَمِيرُ «عَلِيُّ»: «لَا رَيْبَ أَنَّكَ عَارِفٌ بِهِ، وَاثِقٌ بِأَمَانَتِهِ وَخَبْرَتِهِ! وَلَكِنَّ مَا أَسْمَعْتُ مِنْهُ وَتَسْمِعُهُ، أَعْجَبُ مِنْ أَنْ يَقُولَهُ عَقْلُ، أَوْ يُصَدِّقُهُ إِنْسَانٌ».

فَقَالَ التَّاجِرُ مُجِيبًا لِلْأَمِيرِ: «الْحَقُّ مَعَكَ.. وَلَكِنْ مَاذَا يُضِيرُنَا لَوْ أَرْجَأْنَا حُكْمَنَا عَلَيْهِ؟ حَتَّى تَبَيَّنَ حَلِيَّةً أَمْرِهِ، وَتَتَعَرَّفَ حَقِيقَةً بِضَاعَتِهِ.. وَكَمَا يَقُولُ الْمَثُلُ: عِنْدَ الْإِمْتَاحَانِ، يُكَرِّمُ الْمُرْءُ أَوْ يُهَانُ».

فَقَالَ الْأَمِيرُ «عَلِيُّ»: «صَدَقْتَ وَأَنْصَفْتَ، وَمَا عَدَوْتَ الصَّوَابَ فِيمَا حَكَمْتَ.. وَسُرْعَانَ مَا اسْتَدْعَيَا الدَّلَالَ، ثُمَّ أَقْبَلَا عَلَى الْأُنْبُوبِ الْعَاجِيِّ يُقْبَلُنَّهُ؛ فَلَمْ يَرِيَا فِيهِ مِيزَةً تُسْوِغُ مَا يَطْلُبُهُ الدَّلَالُ مِنْ ثَمَنٍ فَادِحٍ».

ثُمَّ انْتَهَتْ حِيَرَتُهُمَا بِسُؤَالِ الدَّلَالِ عَنْ سِرِّ غَلَاءِ الْأُنْبُوبِ الْعَاجِيِّ الْمَعْرُوضِ.. فَأَقْبَلَ عَلَيْهِمَا الدَّلَالُ بِاسْمَهُ، وَقَالَ: «لَيْسَ هَذَا أَنْبُوبًا عَادِيًّا كَمَا تَطَنَّنَ!.. وَلَوْ كَانَ كَذِلِكَ، لَصَحَّ مَا تَقُولَانِ.. وَلَكِنَّهُ مِنْظَارُ فَرِيدٍ، لَيْسَ لَهُ فِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ الْعَالَمِ مَثِيلٌ».. فَسَأَلَ الْأَمِيرُ التَّاجِرَ أَنْ يُفْصِحَ لَهُمَا عَنْ مِيزَةِ الْأُنْبُوبِ.. فَقَالَ: «فِي هَذَا الْأُنْبُوبِ الْعَاجِيِّ الْعَجِيبِ، سِرُّ حَيْثُ غَرِيبٌ!»

فِي هَذَا الْأُنْبُوبِ الَّذِي تَرَيَانِ، زُجَاجَتَانِ غَرِيبَتَانِ، يَرَى النَّاظِرُ – مِنْ خَلَاهُمَا – كُلَّ مَا يَخْطُرُ بِبَالِهِ، أَوْ يَهْجُسُ فِي خَاطِرِهِ، وَيَشَهُدُ كُلَّ مَا يُرِيدُ أَنْ يَشَهَدُهُ لِلْحَالِ، وَلَوْ كَانَ عَلَى بُعْدِ الْأَفَافِ الْفَرَاسِخِ وَالْأَمْيَالِ».

فَرَحَ الْأَمِيرُ «عَلِيُّ» بِمَا سَمِعَ، وَابْتَدَرَ الدَّلَالَ قَائِلًا: «إِذَا صَحَّ مَا تَقُولُ، فَهُوَ مِنْظَارٌ جَدِيدٌ أَنْ يَبْلُغُ ثَمَنَهُ أَكْثَرٌ مِمَّا قَدَرْتَ، وَقَدَرَ صَاحِبُهُ».

فَقَالَ لَهُ الدَّلَالُ فِي ثِقَةٍ بِمَا يَقُولُ: «لَيْسَ الْخَبْرُ كَالْعِيَانِ، وَعِنْدِي الدَّلِيلُ – عَلَى صِدْقِ مَا أَقُولُ – وَالْبُرْهَانُ».

حَسْبُكَ أَنْ تُجْرِبَ الْمِنْظَارَ، لِتَرَى مِصْدَاقَ مَا أَقُولُ».

## (٧) تجربة المِنْظار

فَأَمْسَكَ الْأَمِيرُ «عَلِيٌّ» بِالْمِنْظَارِ الْعَاجِيِّ فِي يَدِهِ، وَسُرْعَانَ مَا تَبَيَّنَ صِدْقَ الدَّلَالِ حِينَ أَبْصَرَ أَبَاهُ السُّلْطَانَ – مِنْ خَلَالِ رُجَاحَتِيهِ، وَكَانَ يُفَكِّرُ فِيهِ – جَالِسًا عَلَى عَرْشِهِ، وَحَوْلَهُ رِجَالٌ حَاسِبَتِهِ، وَهُوَ قَرِيرُ الْعَيْنِ، نَاعِمُ الْبَالِ، عَلَى أَتْمَ صِحَّةٍ وَأَسْعَدِ حَالٍ.

فَأَشْتَهَى الْأَمِيرُ «عَلِيٌّ» أَنْ يَرَى الْأَمِيرَةَ: «نُورُ النَّهَارِ»؛ فَرَآهَا – مِنْ خَلَالِ الْمِنْظَارِ – مُنْشَرِحَةَ الصَّدْرِ، مُتَطَلِّقَةَ الْوَجْهِ، بَسَامَةَ التَّفَرِّعِ.. وَحَوْلَهَا وَصِيفَاتُهَا يَتَضَاحَكُنَّ سُرُورًا، وَيَتَمَالِئُنَّ أَنْسًا وَحُبُورًا.

## (٨) اقتتالُ الْأَمِيرِ

فَدَهِشَ الْأَمِيرُ «عَلِيٌّ» مِمَّا رَأَتُهُ عَيْنَاهُ مِنْ خَلَالِ الْمِنْظَارِ الْعَجِيبِ، وَاقْتَنَعَ بِصِدْقِ مَا قَالَ الدَّلَالُ، وَأَذْرَكَ أَنَّهُ إِذَا حَصَلَ عَلَى هَذَا الْمِنْظَارِ فَقَدْ حَصَلَ عَلَى ذَخِيرَةٍ لَا يَجُودُ بِمِثْلِهَا الرَّزْمَانُ، وَظَفَرٌ بِعَجِيبَةٍ لَا يَهْتَدِي إِلَى نَظِيرِهَا إِنْسَانٌ. لَمْ يَتَرَدَّ الْأَمِيرُ «عَلِيٌّ» فِي أَنْ يُقْرِرَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ شِرَاءَ الْمِنْظَارِ بِالثَّمَنِ الْغَالِيِّ الْمَعْرُوِّضِ.

وَلَمْ يَشُكَّ فِي أَنَّهُ بِشَرَائِهِ هَذَا الْمِنْظَارِ قَدْ حَصَلَ عَلَى نِفَيْسَةٍ فَرِيدَةٍ تَجْعَلُهُ يَتَقَوَّقُ عَلَى أَخْوَيِهِ، فِيمَا يَحْصُلُانِ عَلَيْهِ مِنْ نَفَائِسَ وَطَرْفٍ؛ وَلَمْ يَدُرْ بِخَلِدِهِ – لَحْظَةً وَاحِدَةً – أَنْ يُوجَدَ فِي الْعَالَمِ كُلِّهِ مَا يُمَاثِلُ طُرْفَتَهُ نَفَاسَةً وَخَطَرًا.

## (٩) إِتَّمَامُ الصَّفَقَةِ

لَمْ يَتَمَالِكَ الْأَمِيرُ «عَلِيٌّ» أَنْ يَعْتَذِرَ إِلَى الدَّلَالِ الصَّابِقِ الْأَمِينِ عَنْ شَكِّهِ فِيمَا قَالَ. فَلَمْ يَتَرَدَّ الدَّلَالُ فِي قَبُولِ اعْتِذَارِ الْأَمِيرِ عَمَّا سَاوَرَ نَفْسَهُ مِنْ ارْتِيَابٍ، قَبْلَ أَنْ يَتَبَيَّنَ فِي حَدِيثِهِ وَجْهَ الصَّوَابِ.

خَشِيَ الْأَمِيرُ «عَلِيٌّ» أَنْ تُفْلِتَ مِنْهُ الْفُرْصَةُ التَّابِرَةُ أَوْ يُنَافِسُهُ فِيهَا مُنَافِسٌ؛ فَابْتَدَأَ الدَّلَالُ قَائِلًا: «كَمْ تُرِيدُ تَمَنًا لِهَذَا الْمِنْظَارِ الْعَاجِيِّ النِّفِيسِ؟»



السلطان وحاشيته كما رأهُمُ الْأَمِيرُ مِنْ خَلَلِ الْمُنْظَارِ!

فَقَالَ لَهُ الدَّلَالُ: «لَقَدْ بَلَغَ ثَمَنُهُ – إِلَى الْآنَ – ثَلَاثِينَ كِيسًا مِنَ الْذَّهَبِ؛ وَلَكِنَّ صَاحِبَهُ حَتَّمْ عَلَيَّ الْأَيْعَهُ بِأَقْلَمَ مِنْ أَرْبَعِينَ. فَإِنْ كُنْتَ فِي رَيْبٍ مِمَّا أَقُولُ؛ فَهَلْمَ مَعِي إِلَى صَاحِبِهِ، لِتَتَبَيَّنَ بِنَفْسِكَ جَلِيلَةُ الْخَبَرِ». فَقَالَ لَهُ الْأَمِيرُ «عَلَيُّ»: «هَيَهَاتَ أَنْ أَرْتَابَ فِيَكَ، وَمَا أَنْتَ بِحَاجَةٍ إِلَى مَنْ يُعَزِّزُ قَوْلَكَ أَوْ يُزَكِّيكَ، بَعْدَ أَنْ عَرَفْتُ فِيَكَ الْإِحْلَاصَ وَالْأَمَانَةَ، وَالْحِرْصَ عَلَى التَّمْسُكِ بِقَوْلِ الصَّدْقِ. أَنْتَ عِنْدِي ثَبْتُ أَمِينٌ، لَا تَكْذِبُ وَلَا تَمِينُ، وَلَا تَنْطِقُ بِغَيْرِ الْيَقِينِ. فَهَلْمَ مَعِي إِلَى الْفُنْدُقِ، لِأَنْقُدَكَ ثَمَنَ الْأَنْبُوبِ». وَلَمْ يَكِدِ الدَّلَالُ يُتْمِ الْبَيْعَ، حَتَّى اطْمَانَ الْأَمِيرُ «عَلَيُّ» إِلَى ظَفَرِهِ بِطَلْبِتِهِ، وَهَدَأَ بَالُهُ.



الأمير «علي» يُؤدي ثمن المُنْظَار إلى الدليل.

ولَمْ يَقْتَصِرْ فَرَحُ الْأَمِيرِ «عَلَيٌّ» بِهَذَا الْمُنْظَارِ عَلَى أَنْ يَجْلِبَ لِأَيِّهِ وَلِبَنِيهِ عَجِيَّةَ الْعَجَابِ، وَنَفِيسَةَ النَّفَائِسِ؛ وَلَكِنَّهُ فَرِحَ بِالْمُنْظَارِ كَذَلِكَ لِأَنَّهُ سَيَكُفُّ لَهُ الظَّفَرَ بِمَهْرِ الْأَمِيرَةِ «نُورِ النَّهَارِ». لَقَدْ أَيَّقَنَ الْأَمِيرُ «عَلَيٌّ» أَنَّ أَبَاهُ سَيَكُونُ مُنْصِفًا عَادِلًا فِي تَقْدِيرِ نَفَاسَةِ هَذَا الْكَنْزِ وَعِظَمِ هَذِهِ التُّحْفَةِ، وَسَيُشَهِّدُ بِأَنَّهَا سَيِّدَةُ التُّحَفِ، وَأَمِيرَةُ الطُّرُفِ، وَأَنَّهَا جَدِيرَةٌ بِأَنْ تَكُونَ مَهْرًا لِلْأَمِيرَةِ. وَهَيْهَا أَنْ يَأْتِي أَخَوَاهُ بِتُحْفَةٍ خَيْرٍ مِنْهَا، أَوْ بِطُرُفَةٍ تُعَادِلُهَا، وَإِذْنَ سَيَكُونُ الْأَمِيرُ «عَلَيٌّ» وَحْدَهُ رَوْجَ الْأَمِيرَةِ «نُورِ النَّهَارِ».

(١٠) عَوْدَةُ الْأَمِيرِ «عَلِيٌّ»

لَمْ يُضْعِفِ الْأَمِيرُ «عَلِيُّ» وَقْتَهُ عَبْثًا؛ فَظَلَّ يَرْتَادُ مَدِينَةَ «شِيرازَ» وَضَوَّاهِيَّهَا، وَيَرَى عَجَابَ مَا فِيهَا، وَيُمْتَنَعُ نَفْسَهُ – كُلَّ يَوْمٍ – بِزِيَارَةِ آثارِهَا وَمَعَاهِدِهَا، وَمَتَاحِفَهَا وَمَعَابِدِهَا؛ حَتَّى أَشْرَفَ الْعَالَمُ عَلَى نِهَايَتِهِ، وَلَمْ يَبْقَ عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ يُعْدَ الْعُدَّةَ لِرِحْلَتِهِ.  
وَلَمْ يَشَأْ أَنْ يَسْلُكَ الطَّرِيقَ وَحْدَهُ، بِلْ عَمِلَ بِالْمُمْثَلِ «خُذِ الرَّوْبِيقَ قَبْلَ الطَّرِيقِ».  
وَقَدْ حَالَفَهُ التَّوْفِيقُ فِي الْعَوْدَةِ، كَمَا حَالَفَهُ فِي الرَّحِيلِ؛ فَسَافَرَ – مَعَ إِحْدَى الْقَوَافِلِ – عَائِدًا فِي طَرِيقِهِ إِلَى وَطْنِهِ، حَتَّى وَصَلَ إِلَيْهِ فِي مَوْعِدِهِ.

(١١) لِقَاءُ الْأَخْوَيْنِ

وَلَا تَسْلُ عَنْ فَرَحِ الْأَمِيرِ «عَلِيُّ»، حِينَ رَأَى أَخَاهُ الْأَمِيرَ «حُسَيْنًا» فِي اِنْتِظَارِهِ.  
لَقَدْ كَانَ اِبْنَهَاجُ الْأَمِيرَيْنِ الشَّقِيقَيْنِ كَلِيْهِمَا بِاللَّقَاءِ يَقُوْقُ الْوَصْفَ، وَقَدْ هَنَّا كِلَاهُمَا صَاحِبُهُ بِعَوْدَتِهِ ظَلِفَرًا، وَبِالسَّلَامَةِ غَانِمًا..  
وَعَبَرَ كُلُّ مِنْهُمَا لِلْكَخْرِ عَمَّا كَانَ يُسَاوِرُهُ مِنَ الْقَلْقِ، وَعَمَّا كَانَ يَجْدُهُ فِي نَفْسِهِ مِنَ الشَّوْقِ إِلَى التَّلَاقِي بَعْدَ الْفُرْقَةِ وَالْغِيَابِ.  
ثُمَّ جَلَسَ الْأَمِيرَانِ يَنْتَظِرَانِ مَقْدَمَ الْأَمِيرِ «أَحْمَدَ»؛ أَخِيهِمَا الْأَصْغَرِ، وَبِوُدِّهِمَا أَنْ تَتَمَّ فَرْحَتُهُمَا بِلِقَائِهِ، وَالْأَطْمِئْنَانِ إِلَى سَلَامَتِهِ.



## الفَصْلُ الرَّابِعُ

(١) في «سَمْرَقْدَنَ»

حَدَّثَنَا — أَيُّهَا الصَّدِيقُ الْعَزِيزُ — فِي الْفَصْلَيْنِ السَّابِقَيْنِ حَدِيثُ الْأَمْرَيْنِ: «عَلَيْ» وَ«حُسَيْنٌ» مُنْذُ رَحْلَا، إِلَى أَنْ عَادَاهُ.  
وَلَسْتُ أَشْكُ فِي أَنَّكَ شَدِيدُ الشَّوْقِ إِلَى تَعْرُفِ مَا حَدَثَ لِأَخِيهِمَا الْأَصْغَرِ: الْأَمِيرِ «أَحْمَدَ»،  
بَعْدَ أَنْ خَرَجَ ثَلَاثَتُهُمْ مِنَ الْفَنْدُقِ، وَوَدَعَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عِنْدَ مُفْتَرِقِ الْطَّرِيقِ، وَمَضَى كُلُّ  
مِنْهُمْ يَخْتَارُ السَّبِيلَ الَّذِي يُحَقِّقُ لَهُ مَأْرِبَهُ، وَيُنْيِلُهُ مُبْتَعَاهُ.  
وَإِنِّي مُلْبِ رَغْبَتِكَ، وَمُحَدِّثُكَ بِمَا لَقِيَهُ شَقِيقُهُمُ الْأَصْغَرُ: الْأَمِيرُ «أَحْمَدُ» فِي رِحْلَتِهِ  
الْعِجِيَّةِ، مِنْ مُفَاجَاتٍ مُدْهِشَةٍ غَرِيبَةٍ.

لَقْدْ سَارَ الْأَمِيرُ الصَّغِيرُ «أَحْمَدُ» فِي طَرِيقِهِ إِلَى «سَمْرَقْدَنَ»، مُخْتَرِقًا وَسَطَ آسِيَا، فِي قَافِلَةٍ  
كِبِيرَةٍ.. وَمَا زَالَ يُجْدِ السَّيْرَ حَتَّى بَلَغَ الْمَدِينَةَ، بَعْدَ رِحْلَةٍ طَوِيلَةٍ مُضْنِيَّةٍ.  
ثُمَّ ذَهَبَ الْأَمِيرُ «أَحْمَدُ» إِلَى سُوقِ التِّجَارِ — كَمَا فَعَلَ أَخَوَاهُ مِنْ قَبْلٍ — لَعَلَّهُ يَظْفَرُ  
بِطُرْفَةٍ ثَمِينَةٍ، يُقْدِمُهَا مَهْرًا لِبِنْتِ عَمِّهِ الْأَمِيرَةِ: «نُورُ النَّهَارِ».  
وَرَأَى الْأَمِيرُ «أَحْمَدُ» فِي جَوَانِبِ السُّوقِ أَنْوَاعًا مُخْتَلَفَةً مِنَ الزُّرْوَعِ وَالثَّمَارِ، وَأَصْنَافًا  
شَتَّى مِنَ النَّبَاتَاتِ وَالْأَعْشَابِ، لَمْ تَشْهَدْهَا عَيْنَاهُ مِنْ قَبْلُ.  
وَلَمَّا أَكَلَ مِنْ بَعْضِ الثَّمَارِ، أَدْرَكَ أَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ لَهَا مَدَاقًا فِيمَا سَلَفَ.

فَجَعَلَ يَسْأَلُ وَيَسْتَخْبِرُ: مَا سُرُّ اِنْفِرَادِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ بِتِلْكَ الْأَرْهَارِ النَّاضِرَةِ، وَالْمَارِ الْيَانِعَةِ، وَالْأَعْشَابِ الْعَجِيْبَةِ؟!

فَعَلِمَ أَنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ قَدْ بَرَعُوا كُلَّ الْبَرَاعَةِ، فِي شُنُونِ الزَّرَاعَةِ، وَأَنَّهُمْ اسْتَخْرَجُوا مِنَ الْأَرْضِ مَا هُوَ طَعَامٌ وَغَذَاءً، وَمَا هُوَ دَوَاءٌ وَشَفَاءً، مَمَّا لَا مَثِيلَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ، فِي كُلِّ أَنْحَاءِ الْمَعْمُورِ.

فَإِنَّ أَهْلَ هَذِهِ الْمَدِينَةِ النَّاهِضَةِ، بِفَضْلِ التَّجَارِبِ الْكَثِيرَةِ، أَنْقَنُوا فُنُونَ فِلَاحِ الْأَرْضِ وَغَرِبِ الْبُدُورِ، وَأَدْرَكُوا أَسْرَارَ النَّبَاتَاتِ وَالْأَعْشَابِ، وَعَرَفُوا كَيْفَ يُعَالِجُونَ بِهَا مَا يَعْتَرِيهِمْ مِنَ الْعِلَلِ وَالْأَمْرَاضِ.

فَقَالَ الْأَمِيرُ «أَحَمْدُ» فِي نَفْسِهِ: «لَا يَجُوزُ لِي أَنْ أَكْتَفِي بِالظَّرِيرِ، وَأَنْ أَقْتَعَ بِالْمَعْرِفَةِ. لَا بُدُّ لِي مِنَ الْحُصُولِ عَلَى نَمَادِجَ مِنْ بُدُورِ هَذِهِ الْزُّرُوعِ، وَلَا بُدُّ لِي أَنْ أَتَبَيَّنَ كَيْفَ تُزَرِّعُ؟ وَكَيْفَ تَجُودُ شَمَارُهَا؟ وَكَيْفَ يُتَنَقَّعُ بِهَا فِي الْعَلَاجِ وَالتَّدَاوِي؟ فَالْمُحَافَظَةُ عَلَى الصَّحَّةِ وَالسَّلَامَةِ مِنْ أَشْرَفِ الْغَايَاتِ، وَأَكْرَمِ الْأَغْرَاضِ، وَالتَّغْلُبُ عَلَى الْأَمْرَاضِ مِنْ أَنْفَسِ مَا يَعْنِمُهُ الْإِنْسَانُ فِي الْحَيَاةِ.

وَإِنَّ مِنْ وَاحِدِي فِي رِحْلَتِي هَذِهِ، أَنْ أَنْقُلَ إِلَى أَهْلِ وَطَنِي مَا يَنْتَقِعُ بِهِ النَّاسُ هُنَا فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ وَتَجَارِبِ الزَّرَاعِ، وَخَبَرَاتِ الْعُلَمَاءِ.

## (٢) التُّفَاحَةُ الشَّافِيَّةُ

وَلَمْ يَكُنْ الْأَمِيرُ «أَحَمْدُ» يَسْتَقِرُ بِهِ الْمَقَامُ، حَتَّى رَأَى دَلَالًا يُمْسِكُ بِتُفَاحَةٍ فِي يَدِهِ. وَاسْتَمَعَ إِلَيْهِ الْأَمِيرُ الصَّغِيرُ، وَهُوَ يُنَبِّيِّ عَلَيْهَا بِصَوْتٍ جَهِيرٍ: «خَمْسَةٌ وَثَلَاثُونَ كِيسًا مِنَ الدَّهْبِ.

فَمَنْ يَزِيدُ؟»

فَدَهِشَ الْأَمِيرُ «أَحَمْدُ» مِنْ نِدَاءِ هَذَا الدَّلَالِ، وَخُيِّلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ مَخْبُولٌ أَوْ مَعْتُوهُ، أَوْ شَارِدُ الْلُّبِّ مَشْدُوْهُ!

كَادَ الْأَمِيرُ يُشْكُ فِيمَا سَمَعَ، وَلَكِنَّهُ سُرْعَانَ مَا لَفِي الدَّلَالِ يُعَاوِدُ النِّدَاءِ. فَأَسْرَعَ الْأَمِيرُ بِاسْتِدْعَائِهِ، وَسَأَلَهُ عَمَّا يَعْنِيهِ بِنِدَاءِهِ.

ابْتَدَرَهُ الْأَمِيرُ «أَحَمْدُ» قَائِلًا: «أَيُّ تُفَاحَةٍ هَذِهِ الَّتِي غَلَوْتَ فِي تَثْمِينَهَا وَأَسْرَفْتَ؟»

فَأَجَابَهُ الدَّلَالُ عَلَى الْفَوْرِ: «لَوْ عَرَفْتَ — يَا سَيِّدِي — مَا تَتَمَيَّزُ بِهِ هَذِهِ التُّفَاحَةُ الْعَجِيبَةُ، مِنْ حَصَائِصِ عَرَبِيَّةِ لَعَظِيمَةِ مَا اسْتَصْغَرْتَ مِنْ شَائِنَهَا، وَأَكْبَرْتَ مَا حَقَرْتَ مِنْ قَدْرِهَا، وَارْتَحَصْتَ مَا طَلَبْتَ مِنْ ثَمَنِهَا. فَلَيْسَ كَثِيرًا — لَوْ عَلِمْتَ الْخَيْرَ الْيَقِينَ — أَنْ يَدْفَعَ الشَّارِي أَرْبَعِينَ كِيسًا مِنَ الْدَّهْبِ أَوْ خَمْسِينَ أَوْ سِتِّينَ، فِي مِثْلِ هَذَا الْكَنْزِ النَّادِرِ التَّمِينِ».



خَمْسَةُ وَثَلَاثُونَ كِيسًا مِنَ الْدَّهْبِ، فَمَنْ يَزِيدُ؟

اشْتَدَّتِ الدَّهْشَةُ بِالْأَمِيرِ «أَحْمَدَ»، وَتَعَاظَمَتِ الْحَيْرَةُ مِمَّا سَمِعَ مِنَ الدَّلَالِ، وَخُيَلَ إِلَيْهِ أَنَّ بِهِ مَسَا مِنْ خَبَالٍ، وَأَنَّهُ — فِيمَا يَدْعِيهِ — عَلَى ضَلَالٍ.

فَاسْتَأْنَفَ الدَّلَالُ حَدِيثَةً قَائِلًا: «اعْلَمْ يَا سَيِّدِي – عَلِمْتُ الْخَيْرَ، وَسَلِمْتُ مِنْ كُلِّ أَذَى وَضِيرٍ – أَنَّ هَذِهِ التُّفَاحَةَ ذَاتُ سِرْعَيْبٍ، وَلَهَا فِي شِفَاءِ الْأَمْرَاضِ الْمُسْتَعْصِيَةِ قُدرَةٌ لَا تُخْطِئُ وَلَا تَخِيبُ، وَأَثْرَ نَافِذٌ غَرِيبٌ». قَالَ الْأَمْيْرُ «أَحْمَدُ»: «مَا هَذَا الَّذِي تَقُولُ؟ إِنَّ كَلَامَكَ يُحَرِّرُ الْأَفْهَامَ وَالْعُقُولَ، وَلَا يُصَدِّقُ فِي كَثِيرٍ أَوْ قَلِيلٍ!»

فَأَظْهَرَ الدَّلَالُ إِنْكَارَهُ لِمَا يَتَهَمُّهُ بِهِ الْأَمْيْرُ، وَقَالَ لَهُ: «الْحَقُّ الصَّرَاطُ مَا تَسْمَعُ؛ فَمَا أَنَا مِنْ ذَلِكَ الْطَّرَازِ مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ يَغْلُونَ – فِيمَا يَقُولُونَ – وَيُسْرِفُونَ، وَيَهْرُفُونَ بِمَا لَا يَعْرِفُونَ.

حَسْبُكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهَا التُّفَاحَةُ الشَّافِيَةُ. فَإِذَا سَأَلْتَنِي: لِمَاذَا أَطْلَقُوا عَلَيْهَا ذَلِكَ، فَجَوَابِيٌ إِلَيْكَ حَاضِرٌ، يُؤْيِدُهُ الدَّلِيلُ وَيُثْبِتُهُ الْبُرْهَانُ، وَيُعَزِّزُهُ الْأَخْتِبَارُ وَالْأَمْتَحَانُ. لَقَدْ اكْتَسَبْتُ هَذِهِ التَّسْمِيَةَ؛ لِأَنَّهَا تَشْفِي مِنَ الْأَمْرَاضِ الْمُسْتَعْصِيَةِ، وَتُبْرِئُ – مِنَ الْعِلْلِ وَالْأَسْقَامِ – مَا عَجَزَ الْأَطْبَابُ عَنْ إِبْرَائِهِ، وَأَعْلَنُوا يَأْسَهُمْ مِنْ شِفَائِهِ!»

### (٣) اخْتِبَارُ التُّفَاحَةِ

فَقَالَ لَهُ الْأَمْيْرُ «أَحْمَدُ»: «لِئَنْ صَحَّ مَا تَقُولُ، لَتَكُونَنَّ هَذِهِ التُّفَاحَةُ أَعْجُوبَةً الْأَعْجَيْبِ، وَنَفِيسَةً النَّفَائِسِ، وَطَرْفَةً الْطَّرَفِ». فَقَالَ لَهُ الدَّلَالُ: «إِنَّ مَا أَحَدَثُكَ بِهِ حَقٌّ لَا رَيْبٌ فِيهِ، فَقَدْ كَانَ صَانِعُهَا حَكِيمٌ زَمَانِهِ، وَوَحِيدٌ عَصْرِهِ وَأَوَانِهِ. وَقَدْ وَقَفَ جُهْدُهُ وَتَجَرْبَتُهُ عَلَى دَرِسِ الْأَعْشَابِ وَالنَّبَاتِ، عِدَّةَ سَنَوَاتٍ؛ حَتَّى اهْتَدَى إِلَى تَأْلِيفِهَا مِنْ مُخْتَلِفِ تِلْكَ الْأَعْشَابِ النَّادِرَةِ، عَلَى نِظَامٍ بَارِعٍ فَرِيدٍ، بِحِيثُ يُشَفِّي بِهَا الْمُحْتَضَرُ مَتَى أَدْنِيَتَهَا مِنْ أَنْفِهِ، وَيَزْنُولُ عَنْهُ الْمَرْضُ عَلَى الْفَوْرِ، وَتَعُودُ إِلَيْهِ الصَّحَّةُ كَامِلَةً وَأَفْيَةً.

كُنْ عَلَى ثِقَةٍ – يَا سَيِّدِي – بِمَا تَسْمَعُ. إِنَّ هَذِهِ التُّفَاحَةَ الْعَجِيَّبَةَ قَادِرَةً عَلَى أَنْ تُبْرِئَ الْمَرِيضَ الْمَيْنُوسَ مِنْ شِفَائِهِ لِلْحَالِ، وَتُعِيدُ إِلَيْهِ قُوَّتَهُ، وَعَافِيَتَهُ، وَصَحَّتَهُ، وَفَتَوَتَهُ؛ فَيُصْبِحُ بَعْدَهَا سَلِيمًا مُعَافًّا، كَأَنَّ لَمْ يُلْمَ بِهِ سُوءً، أَوْ يُلْحَقَ بِهِ مَرَضٌ.

وَقَدْ جَرَبْتُ هَذِهِ التُّفَاحَةَ الشَّافِيَّةَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْحَالَاتِ، حَتَّىٰ ذَاعَتْ شُهْرَتُهَا فِي جَمِيعِ أَرْجَاءِ «سَمَرْقَنْدَ»، ثُمَّ تَجَاوَزَتْهَا إِلَى غَيْرِهَا مِنَ الْبُلْدَانِ.  
وَأَعْجَبَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرٍ صَاحِبِهَا الْعَبْقَرِيِّ أَنْ فَاجَأَهُ الْمَرْضُ فِي بَلَدٍ بَعِيدٍ، وَأَمْ يُمْهِلُهُ الْأَجْلُ حَتَّىٰ يُخْضِرُوا لَهُ تُفَاحَتَهُ الشَّافِيَّةَ.

#### (٤) أُسْرَةُ الْعَبْقَرِيِّ

وَكَانَ مِنْ سُوءِ حَظٍ أُسْرَةُ هَذَا النَّطَاسِيِّ الْبَارِعِ أَنْ مَرْضُ، وَالتُّفَاحَةُ الشَّافِيَّةُ بَعِيدَةُ عَنْهُ، فَلَمْ يَتَّفَعَ بِهَا فِي نَفْسِهِ، كَمَا نَفَعَ بِهَا غَيْرُهُ.  
وَمِمَّا رَأَدَ حَظًّا هَذِهِ الْأُسْرَةِ سُوءً، أَنَّ عَائِلَهَا الطَّبِيبُ الْكَبِيرُ لَمْ يَتَرُكْ لَهَا مِنَ الْمَالِ أَوِ الْعَقَارِ مَا يُعِينُهَا عَلَى تَكَالِيفِ الْعِيشِ؛ فَأَشَدَّتِ الْحَاجَةُ بِأَطْفَالِ الطَّبِيبِ الصَّغَارَ – بَعْدَ مَوْتِ عَائِلِهِمُ الْعَظِيمِ – وَافْتَقَرُوا إِلَى الْمَالِ، فَاضْطُرُوا إِلَى بَيْعِ التُّفَاحَةِ الشَّافِيَّةِ اضْطِرَارًا.  
فَلَجَبُوا إِلَيَّ، وَأَوْصَوْنِي لَا أَبْيَعُهَا بِأَقْلَلَ مِنْ أَرْبَعِينَ كِيسًا مِنَ الذَّهَبِ!

#### (٥) الْمُرِيْضُ الْمُخْتَضِرُ

كَانَ الدَّلَالُ يُحَدِّثُ الْأَمْيَرَ، فِي شَانِ التُّفَاحَةِ الشَّافِيَّةِ، فِي أَهْجَةِ الْوَاقِتِ الْمُتَبَّثِ مِمَّا يَقُولُ.  
وَشَاءَتِ الْمُصَادَفَاتُ الطَّارِئَةُ أَنْ تُؤَيِّدَ قَوْلَ الدَّلَالِ بِأَوْضَحِ حُجَّةٍ وَأَقْوَى دَلِيلٍ.  
فَلَمْ يَكُدْ يَتَّهِي مِنْ حَدِيثِهِ، حَتَّىٰ قَدَمَ عَلَيْهِ رَجُلٌ يَسْتَجِدُهُ، مُنَوَّسًا إِلَيْهِ أَنْ يَشْفِي  
أَخَاهُ الْمُشْرِفَ عَلَى التَّلْفِ، قَبْلَ أَنْ يَبْيَعَ التُّفَاحَةُ الشَّافِيَّةُ لِمَنْ يَمْلِكُ ثَمَنَهَا الْعَالَىِ.  
وَكَانَ مِنْ عَجِيبِ الْمُصَادَفَاتِ أَنَّ أَخَاهُ الْمُخْتَضِرَ قَدْ أَشْرَفَ عَلَى الْهَلَكَةِ، وَقَدْ يَكُسُّ مِنْ  
شَفَائِهِ أَطْبَاءُ الْبَلَدِ جَمِيعًا، وَأَعْلَنُوا أَنَّهُ لَا حِيلَةَ لَهُمْ فِي عِلَاجِهِ.  
وَرَأَى الْأَمْيَرُ «أَحْمَدُ» فِي إِجَائِهِ هَذَا الرَّجُلُ إِلَى طَبِيبِهِ، وَإِعْاثَتِهِ مِنْ لَهْفَتِهِ، فُرْصَةً نَادِرَةً  
أَتَاهَا الْقَدْرُ لِخَبِيرِ التُّفَاحَةِ الشَّافِيَّةِ، وَالْتَّحَقَّقَ مِمَّا حَدَّثَهُ الدَّلَالُ عَمَّا تَفَرَّدَتْ بِهِ مِنْ قُدْرَةِ  
عَلَى تَحْقِيقِ الشَّفَاءِ، لِمَا اسْتَعْصَى مِنَ الْأَمْرَاضِ وَالْأَدْوَاءِ.

فَقَالَ الدَّلَالُ لِلرَّجُلِ: «لَا مَانِعَ عِنِّي مِنْ تَحْقِيقِ مَا تُرِيدُ عَلَى الْفَوْرِ، فَمَا وُجِدَتْ هَذِهِ التُّفَاحَةُ إِلَّا لِتَشْفِي مِنَ الْمَرْضِ الْمُسْتَعْصِيِّ، وَاللَّدَاءِ الْعَيَاءِ، وَلَعَلَّ الْأَقْدَارَ سَاقِتُكَ لِيَكُونَ أَخُوكَ شَاهِدًا لِهَذِهِ التُّفَاحَةِ بِمَا لَهَا مِنْ فَائِدَةٍ وَنَفْعٍ».



الرَّجُلُ الْمَرِيضُ يَسْتَشْفِي بِالْتُّفَاحَةِ الشَّافِيَةِ.

## (٦) نجاح الخطبة

وَمَا كَادَ ثَلَاثَتُهُمْ يَبْلُغُونَ دَارَ الْمَرِيضِ الْمُحْتَضِرِ، حَتَّىٰ وَجَدُوهُ – كَمَا قَالَ صَاحِبُهُ –  
يَجُودُ بِأَنفَاسِهِ الْأَخِيرَةِ، وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَى الْمَوْتِ مِنْهُ إِلَى الْحَيَاةِ.  
فَأَسْرَعَ الدَّلَالُ إِلَى الْمَرِيضِ، وَأَدْنَى التُّفَاحَةَ مِنْ أَنْفِهِ.

وَمَا كَادَ الْمَرِيضُ يَشْمُمُهَا حَتَّىٰ دَبَّتِ الْحَيَاةُ فِي جَسْمِهِ مِنْ جَدِيدٍ.

وَلَمْ تَمُرْ عَلَيْهِ لَحَظَاتٌ قَلِيلَةٌ حَتَّىٰ اِنْتَعَشَ، وَعَادَهُ النَّشَاطُ وَالْقُوَّةُ، وَالْبَلُُّ وَالْفُتُوْهُ.

## (٧) عَوْدَةُ الْأَمِيرِ «أَحْمَدَ»

لَا تَسْلُ عَنْ فَرَحِ الْأَمِيرِ «أَحْمَدَ» حِينَ شَهَدَ نَجَاحَ التَّجْرِبَةِ، وَرَأَى مَصْدَاقَ مَا حَدَّثَهُ دَلَالُهَا  
رُؤْيَاَ الْعِيَانِ، وَثَبَّتَ لَهُ نَجَاحُ التَّجْرِبَةِ بِالدَّلِيلِ وَالْبُرْهَانِ، حَتَّىٰ يَزْدَادَ مِنْ ثِقَةٍ وَإِيمَانٍ!  
اطْمَأَنَّ قَلْبُ الْأَمِيرِ بِمَا رَأَى وَارْتَاحَ بِاللُّهِ، بَعْدَ أَنْ تَمَّ لَهُ مُرَادُهُ وَتَحَقَّقَتْ أَمَالُهُ، وَلَمْ  
يُعْدْ يَشْكُ فِي صِدْقِ الدَّلَالِ وَأَمَانَتِهِ، وَعَدَالَتِهِ وَنَزَاهَتِهِ، وَأَسْرَعَ إِلَيْهِ فَنَقَدَهُ أَرْبَعَيْنَ كِيسًا  
مِنَ الْدَّهْبِ، ثَمَّنَا لِلتُّفَاحَةِ الشَّافِيَّةِ، وَأَخْتَصَهُ – فَوْقَ هَذَا – بِكِيسٍ آخَرَ تَقْدِيرًا لِصَنْعِيهِ  
وَعِزْفَانًا، وَمُكَافَأَةً لَهُ عَلَى هَدِيَّتِهِ وَحُلُوانًا.

ثُمَّ خَطَرَ لِلْأَمِيرِ «أَحْمَدَ» أَنْ يَقْضِي مَا بَقِيَ مِنَ الْوَقْتِ فِي دَرْسِ آثَارِ الْمَدِينَةِ، وَتَعْرِفُ  
عَجَائِبُهَا، وَالْتَّجَوَّلُ فِي وَادِيهَا الْمُمْرِعُ الْخَصِيبُ، الَّذِي ذَاعَ فِي الْعَالَمِ صِيَّتُهُ وَاسْتَفَاضَتْ  
شُهْرَتُهُ، حَتَّىٰ قَالَ النَّاسُ عَنْهُ: إِنَّهُ إِحْدَى جَنَّاتِ الدُّنْيَا، لِمَا يَحْوِيهِ مِنْ يَنَابِيعَ عَذْبَةٍ، وَحُقولٍ  
خَصْبَةٍ، وَمَرْوِجٍ حَضِرَاتٍ، وَبَسَاتِينٍ فَاتِنَاتٍ.

وَقَدْ حَمَدَ الْأَمِيرُ «أَحْمَدُ» لِأَهْلِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ أَنَّهُمْ أَهْلُ نُزُهَةٍ وَلَهُوَ طَيِّبٌ، كَمَا هُمْ أَهْلُ  
جِدٍ وَعَمَلٍ مُثْمِرٍ؛ إِذْ رَأَهُمْ يَجْعَلُونَ لَهُمْ أَوْقَاتٍ رَاحَةٍ وَفَرَاغٍ، يَقْضُونَهَا فِي الرُّحْلَةِ إِلَى الْأَمْكَنَةِ  
الْخَلْوَيَّةِ، فَيُمْتَعُونَ أَعْيُنَهُمْ بِمَا يَشَهُدُونَ مِنْ مَحَاسِنِ الطَّبِيعَةِ، وَيُرِفَّهُونَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ حِينَ  
يَنَزَّهُونَ خِلَالَ الزُّرُوعِ النَّاجِيَّةِ، وَالْأَشْجَارِ الْحَالِيَّةِ، وَالظَّلَالِ الضَّافِيَّةِ، تَحْتَ سَمَاءٍ صَاحِبَيَّةٍ.

وَلَمَّا جَاءَ مَوْعِدُ السَّفَرِ، وَتَهَيَّأَتِ الْقَافِلَةُ لِلسَّيْرِ، ذَهَبَ الْأَمِيرُ «أَحْمَدُ» فِي رَفَاقَتِهَا، وَأَنْسَى إِلَى صُحبَّتِهَا.

وَظَلَّ الْأَمِيرُ «أَحْمَدُ» يُوَاصِلُ الرِّحْلَةَ، حَتَّى بَلَغَ مُفْتَرَقَ الطُّرُقِ؛ فَوَدَعَ الْقَافِلَةَ، شَاكِرًا مَا لَقِيَهُ مِنْ كَرِيمِ الصُّحْبَةِ، وَقَصَدَ إِلَى الْفُنْدُقِ الَّذِي حَلَّ فِيهِ مَعَ أَخْوَيْهِ مِنْ قَبْلٍ. وَكَانَ أَكْبَرُ مَا يَرْجُوهُ الْأَمِيرُ «أَحْمَدُ» أَنْ يَلْقَى شَقِيقَيْهِ، بَعْدَ أَنْ فَارَقُوهُمَا عَامًا كَامِلًا؛ فَقَدْ كَانَ لَا يَعْدِلُ شَوْقَهُ إِلَيْهِمَا، وَارْتِقَابُهُ لِلْقَائِمَهُمَا، إِلَّا شَوْقُهُمَا إِلَيْهِ، وَارْتِقَابُهُمَا لِلْقَائِمِ.

## الفَصْلُ الْخَامِسُ

### (١) اجْتِمَاعُ الشَّمْلِ

وَلَوْ أَنَّكَ وَازْنَتْ بَيْنَ دَوَاعِي السُّرُورِ، لَوَجَدْتَ أَهْنَاهَا وَأَمْتَعَهَا مَا يَكُونُ مِنْ إِيَابٍ بَعْدَ غِيَابٍ،  
وَمِنْ تَلَاقٍ بَعْدَ افْتَرَاقٍ.

وَلَمْ يَكِدِ الْأَمِيرُ «أَحْمَدُ» يَبْلُغُ الْفَنْدَقَ الَّذِي اتَّفَقَ مَعَ أَخْوَيْهِ عَلَى الْاجْتِمَاعِ فِيهِ – بَعْدَ  
انْقِضَاءِ الْعَامِ – حَتَّى رَأَى أَخْوَيْهِ يُقْبَلُانِ عَلَيْهِ مَسْرُورَيْنِ، وَيُرْجِبَانِ بِمُقْدَمِهِ مُبْتَهِجِيْنِ.  
وَمَا لَبِثَ الْأَخْوَانِ أَنْ عَانَقَ كُلُّ مِنْهُمَا الْأَخَّ الْقَادِمِ مِنَ السَّفَرِ أَحَرَّ عَنَاقٍ، وَقَدْ فَاضَتْ  
قُلُوبُهُمْ أُنْسًا وَهَنَاءً، وَغَمَرَتْهُمُ السَّعَادَةُ بِاجْتِمَاعِ الشَّمْلِ الشَّتِّيْتِ، بَعْدَ مَا كَابُدُوهُ مِنْ عَنَاءِ  
النُّقلَةِ وَمَشَاقِ الرَّحِيلِ قُرَابَةً عَامِ.

### (٢) حِوارُ الْأَشْقَاءِ

وَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِهِمُ الْجُلُوسُ، الْفَتَّ الْأَمِيرُ «حُسَيْنٌ»، وَهُوَ – كَمَا يَعْلَمُ الْقَارِئُ الْعَزِيزُ – أَكْبَرُ  
أَبْنَاءِ السُّلْطَانِ، وَقَالَ: «شُكْرًا لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْقَدِيرِ جَلَّتْ نِعْمَتُهُ، وَعَظُمَتْ مِنْتَهُ مَا أَتَاهُ لَنَا مِنْ  
أَمْنٍ وَسَلَامٍ وَتَوْفِيقٍ، وَنَجَاهَةٍ مِنْ أَخْطَارِ الطَّرِيقِ.

وَلَقَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْنَا، وَضَاعَفَ مِنْتَهُ عَلَيْنَا، فَأَظْفَرَنَا بِاللِّقَاءِ، وَيَسَّرَ لَنَا أَسْبَابَ الْهَنَاءِ.  
وَإِنِّي لَأَتَمَّنِي، أَيُّهَا الشَّقِيقَانِ الْكَرِيمَانِ، أَنْ يَكُونَ كُلُّ مِنْكُمَا قَدْ لَقِيَ فِي رِحْلَتِهِ الطَّوِيلَةِ  
– مِنَ النَّجَاحِ – مِثْلَ مَا لَقِيْتُ.



الإخْوَةُ التَّلَاثَةُ يُلْتَقُونَ فِي الْفَنْدُقِ بَعْدَ غِيَابِ عَامٍ.

فَإِنَّ مَا أَتَيْنَاهُ فِي مَظْهَرٍ كُمَا، وَقَسَمَاتٍ وَجَهِيْكُمَا، وَمَا أَرَاهُ عَلَى أَسَارِيرِكُمَا مِنْ دَلَائِلِ  
الابْتِهَاجِ وَالبُشْرِ؛ دَلِيلٌ عَلَى مَا أَحْرَزْتُمُهُ مِنْ فُوزٍ وَنَصْرٍ.  
وَلَا رَيْبٌ فِي أَنَّ كُلَّا مِنْكُمَا ازْدَادَ خِبْرَةً بِالدُّنْيَا؛ وَمَعْرِفَةً لِلْحَيَاةِ، بَعْدَ أَنْ شَهَدَ مِنَ الْبَقَاعِ  
النَّائِيَةِ، وَالْأَمْكَنَةِ الْقَاصِيَةِ، مَا لَمْ تَكُنْ شَهِيْدَتُهُ عِيْنَا، وَبَعْدَ أَنْ اسْتَبَانَ لَهُ مَا عِنْدَ الْأُمُمِ  
الْمُخْتَلِفَةِ مِنْ عَجَائِبِ وَغَرَائِبِ، وَمِنْ طَرَائِفَ وَلَطَائِفَ، وَمَا وَصَلَ إِلَيْهِ الْبَاحِثُونَ وَأَهْلُ الْعِلْمِ  
فِي مَيْدَانِ الزِّرَاعَةِ وَالصَّنَاعَةِ مِنْ أَسْرَارِ وَحَقَائِقِ، مِمَّا يَجُدُّرُ أَنْ يَنْتَفِعَ بِهِ الْإِنْسَانُ، أَيْنَمَا  
كَانَ، وَلَا يَنْفَرِدُ بِهِ وَطَنٌ دُونَ سَائِرِ الْأَوْطَانِ.

وَلَعَلَّكُمْ مُحَدِّثَيَ بِمَا أَحْرَزْتُمَا – فِي رِحْلَتِكُمَا الشَّاقِقَيْنِ – مِنْ نَفَائِسِ الْطَّرَفِ، وَمَا جَمَعْتُمَا مِنْ عَوَالِي التُّحَفِّ.

(٣) حَدِيثُ الْأَمِيرِ «حُسَيْنٌ»

سَكَّتَ الْأَمِيرُ «حُسَيْنٌ» قَلِيلًا، ثُمَّ وَصَلَ مَا انْقَطَعَ مِنْ حَدِيثِهِ قَاتِلًا: «أَمَّا أَنَا، فَمَا أَكْثَرَ مَا لَقِيْتُ فِي رِحْلَتِيِ الطَّوِيلَةِ مِنْ مُذْهَشَاتٍ وَعَجَائِبٍ، وَمُفَارِقَاتٍ وَغَرَائِبٍ! وَقَدْ حَرَصْتُ عَلَى تَدْوِينِ مَا رَأَيْتُ، وَتَسْجِيلِ مَا سَمِعْتُ، لِإِلْفَادَةِ بِمَا شَهَدْتُ فِي رِحْلَتِي، وَالِانْتِفَاعِ بِمَا انتَهَتْ إِلَيْهِ تَجْرِيْتِي.

عَلَى أَنَّنِي بِإِلَيْهِ بِالْأَفْضَاءِ إِلَيْكُمَا، أَيُّهَا الشَّقِيقَانِ، وَيُسْعِدُنِي أَنْ أُحْدِثَكُمَا عَمَّا انتَهَتْ إِلَيْهِ رِحْلَتِي مِنْ فَوْزٍ وَنَجَاحٍ، وَتَوْفِيقٍ وَفَلَاحٍ، وَمَا تَحَقَّقَ لِي فِيهَا مِنْ رَغْبَاتٍ وَآمَالٍ، لَمْ تَكُنْ لِتَخْطُرَ لِي عَلَى بَالٍ».

كَانَ الْأَخْوَانِ يُنْصِتَانِ إِلَى حَدِيثِهِ، وَقَدِ اسْتَدَّ تَطْلُعُهُمَا إِلَى تَعْرِفِ مَا ظَفَرَ بِهِ شَقِيقُهُمَا الْأَكْبَرُ، فَابْنَدَرَاهُ قَاتِلَيْنِ: «مَا أَشْوَقَنَا إِلَى تَعْرِفِ مَا أَظْفَرَتْكَ بِهِ رِحْلَتُكَ!» فَقَالَ الْأَمِيرُ «حُسَيْنٌ»: «لَقَدْ حَالَفَنِي التَّوْفِيقُ فِي الْعُثُورِ عَلَى هَذَا الْبِسَاطِ الْعِجِيبِ الَّذِي أَجْلِسَ وَتَجْلِسَانِ عَلَيْهِ.

إِنَّهُ – كَمَا تَرَيَانِ – بِسَاطُ عَادِيٍّ فِي مَظْهَرِهِ، لَا يَمْتَازُ عَنْ غَيْرِهِ مِنَ الْبُسْطِ الَّتِي تَزَدَّجُ بِهَا الْأَسْوَاقُ.

وَمَهْمَمَا حَاقَّ الْفَاحِصُ الْمُدَقَّقُ أَنْ يَتَعَرَّفَ مِنْ نَظَرِتِهِ شَيْئًا يَدْلُلُ عَلَى حَقِيقَتِهِ، فَلَنْ يَهْتَدِي إِلَى جَلَلِ خَطَرِهِ وَنَفَاسِتِهِ!

تَأْمَلًا فِيهِ – يَا أَخَوَيِّ – وَانْظُرَا، وَأَمْعِنَا الْفِكْرَ وَتَدَبَّرَا فَلَنْ تَرَيَا بَعْدَ الْفَحْصِ وَالْتَّحْقِيقِ، وَالنَّفْكِيرِ الْعَمِيقِ، إِلَّا بِسَاطًا عَادِيًّا، لَا مُتَفَرِّدًا فِي نَسْجِهِ وَلَا عَبْقَرِيًّا.

ذَلِكَ مَا يَبْدُو مِنْ مَظْهَرِهِ.. فَكَيْفَ تَحْكُمَانِ لَوْ عَرَفْتُمَا حَقِيقَةَ مَخْبِرِهِ؟

إِنَّ هَذَا الْبِسَاطَ، يَا أَخَوَيِّ الْعَزِيزَيْنِ أَيُّهُ مِنْ آيَاتِ الْعَجَبِ، وَطُرْفَةُ أَثْمَنُ مِنْ كُلِّ مَا يَحْوِيهِ الْعَالَمُ مِنْ فِضَّةٍ وَذَهَبٍ.

وَقَدِ اشْتَرِيْتُهُ - لِحُسْنِ حَظِّي - بِأَرْبَعِينَ كِيسًا مِنَ الدَّهْبِ، لَمْ أَزِدْ عَلَيْهَا إِلَّا كِيسًا وَاحِدًا، مَنْحَتُهُ لِلَّدَلَالِ الَّذِي عَرَضَهُ عَلَيَّ حُلُوانًا، تَقْدِيرًا إِصْنَاعِهِ وَعَرْفَانًا. أَرَأَكُمَا تَتَعَجَّبَانِ مِمَّا أَقُولُ، أَيْهَا الْأَخْوَانُ الْعَزِيزَانِ، وَلَا تَكَادَانِ تُصَدِّقَانِ مَا تَسْمِعَانِ لَا رَيْبَ أَنَّ دَهْشَتَكُمَا سَتَزَدَادُ إِذَا قُلْتُ لَكُمَا إِنَّ مَا دَفَعْتُهُ مِنَ الْمَالِ - عَلَى كُثْرَتِهِ وَوَفْرَتِهِ - تَفْهُ بَحْسُ، وَأَنَّ الْبِسَاطَ جَدِيرٌ أَنْ يُقَوَّمَ بِأَسْعَافِ مَا دَفَعْتُهُ فِيهِ مِنَ الثَّمَنِ الْوَكِينِ.

فَإِذَا حَسِبْنَا أَنَّنِي أُسْرِفُ فِي تَقْوِيمِهِ، وَأَغْلُو فِي تَقْدِيرِهِ فَإِنِّي مُثْبِتٌ لَكُمَا - عَلَى الْفُورِ - أَنَّنِي أَبْخُسُ الْبِسَاطَ وَأَحْقِرُهُ، إِذَا لَمْ أَقْلِ إِنَّ دَهْبَ الْعَالَمِ وَكُنُوزَ الدُّنْيَا كُلُّهَا لَا تَفِي بِتَقْوِيمِهِ، وَلَا تُكْفِي لِتَقْدِيرِهِ لِأَنَّهُ أَنْمَنُ مِنْ أَنْ يُقَوَّمَ بِمَا لِي، وَإِنْ يَكُنْ عَدَدَ الْحَصَى وَالرَّمَالِ! .. وَحَسِبْكُمَا أَنْ تَعْلَمَا أَنَّ هَذَا الْبِسَاطَ الْعَجِيبُ هُوَ بِسَاطُ الرِّيحِ الَّذِي طَالَمَا حَدَّثَنَا عَنْهُ عَرَائِبُ الْقَصَصِ، وَعَجَابُ الْأَسَاطِيرِ. فَهُوَ يَحْمِلُ رَاكِبَهُ مِنْ أَقْصَى الْأَرْضِ إِلَى أَقْصَاهَا، وَيُبَلِّغُهُ الْمَكَانُ الَّذِي يُرِيدُهُ فِي لَحَظَاتٍ مَعْدُودَاتٍ.

هَذَا الْبِسَاطُ الْعَجِيبُ لَا يُعْجِزُهُ أَنْ يُصَعِّدَ فِي الْجَبَالِ، أَوْ يُصَوِّبَ فِي السُّهُولِ، وَأَنْ يَسْبَحَ إِنْ شَاءَ فَوْقَ الْمَاءِ، وَيَمْضِي كَالْهَوَاءِ فِي الْفَضَاءِ، تَارَةً هُوَ عَلَى قِمَةِ جَبَلٍ أَشَمَّ، وَتَارَةً هُوَ عَلَى مَنْذُونَ بَحْرِ خَضْمٍ، وَطَوْرَا يُطْلُّ عَلَى مَدَائِنِ عَامِرَةٍ، أَوْ يَمْرُ بَيْنَ أَشْجَارٍ مُزْهَرَةٍ فِي رُكُوبِهِ نُزْهَةً لِلنَّفْسِ، وَاقْتِصَادًا لِلْوَقْتِ وَإِسْعَافٍ بِالْحَاجَةِ.

#### (٤) حَدِيثُ الْأَمِيرِ «عَلِيٌّ»

فَرِحَ الْأَمِيرَانِ؛ «عَلِيٌّ» وَ«أَحْمَدُ» بِمَا سَمِعَا مِنْ حَدِيثِ أَخِيهِمَا الْأَمِيرِ «حُسَيْنٍ». وَأَقْبَلَا عَلَيْهِ يُهَنِّئَانِهِ بِمَا ظَفَرَ بِهِ مِنْ طُرْفَةِ نَمِينَةِ نَادِرَةٍ، وَتُحْفَةِ نَفِيسَةِ بَاهِرَةٍ.

تُمِّمَ التَّفَتَ الْأَخُوَّةُ الْأَوَّلَيُّ الْأَمِيرُ «عَلِيٌّ» إِلَى أَخْوَيِهِ «حُسَيْنٍ» وَ«أَحْمَدَ» قَائِلًا لَهُمَا: «لَسْتُ أَشْكُنْ أَيْهَا الْأَخْوَانَ الْعَزِيزَانِ - فِي طَرَافَةِ هَذَا الْبِسَاطِ الْمُمِينِ وَجَلَالِ خَطْرِهِ، وَمَا أَجْدَرَ أَخَانَا «حُسَيْنًا» بِالْتَّهَنِئَاتِ الصَّادِقَاتِ بِمَا أَظْفَرَهُ بِهِ سَعْيُهِ الْمَجِيدُ، وَحَظْهُ السَّعِيدُ.

وَلَسْتُ أَنَا زَعْمُ الْقَوْلِ فِي أَنَّ هَذِهِ الْطُّرْفَةَ، إِذَا صَحَّ مَا حَدَّثَنَا بِهِ عَنْهَا، طُرْفَةٌ جَدِيرَةٌ أَنْ  
تُكَسِّبَ صَاحِبَهَا مَجْدًا وَرِفْعَةً وَذِيُوعَ صِيَّبٍ.  
وَلَكِنَّنِي أَنْكِرُ عَلَيْهِ – بَعْدَ هَذَا – أَنْ يَيْطُنَّ أَنَّ الْعَالَمَ كُلُّهُ قَدْ خَلَ مِنْ طُرْفَةٍ أُخْرَى،  
لَا أَزْعُمُ أَنَّهَا أَعْجَبُ مِنْ طُرْفَتِهِ، وَأَنْتُمْ مِنْ تُحْفَتِهِ، وَلَكِنِّي أَزْعُمُ أَنَّهَا تُسَاوِيْهَا وَتُنَافِسُهَا  
فَضْلًا وَقَدْرًا، وَلَا تَقْلُّ عَنْهَا: نَفَاسَةً وَخَطْرًا.  
وَإِنَّ اللَّهَ الَّذِي وَهَبَ الْإِنْسَانَ نِعْمَةَ الْعَقْلِ وَالذَّكَاءِ، لَمْ يَقْصُرْهَا عَلَى أُمَّةٍ دُونَ أُمَّةٍ، وَلَمْ  
يُخْصِّهَا بِبَلْدٍ دُونَ بَلْدٍ.  
وَسَرَّيَانِ – بَعْدَ قَلِيلٍ – مِصْدَاقٍ مَا تَسْمَعَانِ».

### (٥) الْأَنْبُوبُ الْعِجِيبُ

سَكَّتَ الْأَمِيرُ «عَلِيُّ» لَحْظَةً، ثُمَّ اسْتَأْنَفَ حَدِيثَهُ قَائِلًا لِأَخِيهِ الْأَمِيرِ «حُسَيْنٍ»: «إِنَّكَ لَوَاحِدٌ فِي  
هَذَا الْأَنْبُوبِ الَّذِي أُتِيحَ لِي أَنْ أَظْفَرَ بِهِ، مَيْزَةً نَادِرَةً، لَا تَقْلُّ عَمَّا تَمَيَّزَ بِهِ بِسَاطُكَ الْعِجِيبُ:  
جَلَالَ شَأنِ، وَنَفَاسَةَ خَطْرٍ».

ابْنَدِرَهُ الْأَمِيرُ «حُسَيْنٌ» قَائِلًا: «لَسْتُ أَنْكِرُ عَلَيْكَ شَيْئًا مِمَّا تَقُولُ يَا أَخِي الْعَزِيزُ؛ فَمَا  
أَكْثَرَ مَا يَحْقِلُ بِهِ الْعَالَمُ مِنْ عَجَابَاتِ، وَمَا تَرْدَحُمُ بِهِ الدُّنْيَا مِنْ مُذْهَشَاتِ وَغَرَائِبِ!  
وَإِنِّي – عَلَى كُلِّ حَالٍ – لَشَدِيدُ الشُّوقِ إِلَى سَمَاعِ حَدِيثِكَ الشَّائِقِ الْمُعْجِبِ، وَكَلَامِكَ  
الْفَاتِنِ الْمُحَبِّبِ!».

فَاسْتَأْنَفَ الْأَمِيرُ «عَلِيُّ» قَائِلًا: «إِنَّ هَذَا الْأَنْبُوبَ كَمَا تَرَى أَنْبُوبٌ – فِيمَا يَبْدُو مِنْ  
مَظْهَرِهِ – عَادِيٌّ، لَا يَمْتَازُ بِشَيْءٍ عَنْ غَيْرِهِ مِنَ الْأَنَابِيبِ الَّتِي ازْدَحَمَتْ بِهَا أَسْوَاقُ الْعَالَمِ.  
فَلَا يَدْفَعُنَّكَ مَا تَرَى مِنْ تَفَاهَةِ مَظْهَرِهِ، إِلَى اسْتِعْجَارِ شَأنِهِ، وَالإِسْتِهَانَةِ بِقِيمَتِهِ.  
إِنَّهُ شَيْءٌ بِالسَّاطِ الْعِجِيبُ الَّذِي ظَفِرْتَ بِهِ: كِلَاهُمَا جَلِيلُ الشَّأنِ عَظِيمُ الْخَطْرِ، وَإِنْ  
كَانَ مَظْهُرُهُمَا لَا يَدْلُلُ عَلَى حَقِيقَةِ أَمْرِهِمَا، وَجَلَالِ خَطْرِهِمَا، وَنَفَاسَةِ قَدِيرِهِمَا.  
وَقَدْ دَفَعْتُ فِيهِ – مِنْ أَكْيَاسِ الْمَالِ – مِقْدَارًا مَا دَفَعْتَ أَنْتَ فِي بِسَاطِكَ النَّفِيسِ».

## (٦) مِيَزَةُ الْأَنْبُوبِ

وَأَمْسَكَ الْأَمِيرُ «عَلَيْ» عَنِ الْكَلَامِ هُنْيَهَةً، ثُمَّ اسْتَأْنَفَ قَوْلَهُ: «فَإِذَا سَالَتِنِي: أَيُّ مِيَزَةٍ نَادِرَةٍ فِي هَذَا الْأَنْبُوبِ، رَفَعْتُ مَنْزِلَتَهُ، وَأَعْلَمْتُ قِيمَتَهُ؟ قُلْتُ لَكَ: إِنَّهُ أَعْجَبٌ مِنْظَارٌ فِي الْعَالَمِ.

فَإِنَّ مَنْ يَنْتَظِرُ – مِنْ خَلَالِ زُجَاجَتِيهِ – يَسْتَطِيعُ أَنْ يَشْهَدَ كُلَّ مَا يَمْرُ بِبَالِهِ، أَوْ يَطْوُفُ بِخَيَالِهِ، وَلَوْ كَانَ فِي أَقْصَى مَكَانٍ مِنَ الدُّنْيَا كَانْ لَمْ يَبْعُدْ عَنْهُ إِلَّا قِيدَ أَشْبَارِهِ، وَلَيْسَ الْخَبْرُ كَالْعِيَانِ، وَفِي التَّجْرِيبَةِ أَصْدَقُ دَلِيلٍ – عَلَى مَا أَقُولُ – وَأَكْبُرُ بُرْهَانِ.

## (٧) صَحَّةُ الْأَمِيرَةِ

لَا تَسْلُمْ عَنْ دَهْشَةِ الْأَمِيرَيْنِ: «حُسَيْنٌ» وَ«أَحْمَدٌ» مِمَّا سَمِعَا مِنْ أَخِيهِمَا «عَلَيْ». لَقَدْ أَسْرَعَ الْأَمِيرُ «حُسَيْنٌ» إِلَى مِنْظَارِ أَخِيهِ الْأَمِيرِ «عَلَيٌّ»، وَنَظَرَ مِنْ خَلَالِ زُجَاجَتِيهِ الْعِجَيبَيْنِ لِيَرَى مَصْدَاقَ مَا سَمِعَ مِنْ مَيْزَتِهِ التَّارِيَةِ. وَكَانَ أَكْبَرُ رَغْبَاتِهِ، وَأَعْظَمُ أَمَانِيَّهِ، وَأَوْلَ مَا يُفَكِّرُ فِيهِ أَنْ يَرَى بِنْتَ عَمِّهِ الْأَمِيرَةَ: «نُورَ النَّهَارِ»؛ لِيَتَعَرَّفَ أَحْوَالَهَا، وَيَطْمَئِنَّ عَلَيْهَا. وَلَمْ يَكِدِ الْأَمِيرُ «حُسَيْنٌ» يَمْرُ بِدِهْنِهِ ذَلِكَ الْخَاطِرُ، وَالْمِنْظَارُ عِنْدَ عَيْنِهِ، حَتَّى سِيَّءَ وَجْهُهُ، وَتَجَهَّمَتْ أَسَارِيرُهُ، وَأَنْتَزَمَتِ الرِّعْدَةُ جَسْمُهُ.

## (٨) دَهْشَةُ الْأَمِيرَيْنِ

فَدَهْشَ أَخْوَاهِ مِمَّا رَأَيَا، وَابْنَدَرَا أَخَاهُمَا مُسَائِلِيْنِ: «مَاذَا بِكَ يَا أَخَانَا؟ وَأَيُّ شَيْءٍ أَخَافَكَ وَرَوَعَكَ؟ مَاذَا رَأَيْتَ فَرَعَّبَكَ وَفَرَّعَكَ؟» وَلَمْ يُحِبِ الْأَمِيرُ «حُسَيْنٌ» بِلَفْظِهِ، إِذْ كَانَ قَدْ بَدَأَ الْإِخْفَاءِ يَدِبُّ فِيهِ، بَعْدَ أَنْ هَالَهُ مَا رَأَتُهُ عَيْنَاهُ: فَأَسْرَعَ إِلَيْهِ أَخْوَاهُ الْأَمِيرُ «عَلَيٌّ»، وَالْأَمِيرُ «أَحْمَدُ» يُرْقَدَاهُ عَلَى الْأَرْيَكَةِ بَعْضَ وَقْتٍ.. وَمَا زَالَ يَهُ يُنْعَشِانِيهِ حَتَّى أَفَاقَ رُوَيْدَا، فَسَأَلَاهُ: «كَيْفَ حَالُكَ، يَا أَخَانَا الْعَزِيزِ؟» فَصَاحَ الْأَمِيرُ «حُسَيْنٌ» صَيْحَةَ الْمُتَالِمِ الْأَيَّاَسِ، وَلَمْ يَتَمَالَكْ أَنْ يَقُولَ مُتَحَرِّنًا: «وَاحْسَرَتَا عَلَيْكُمْ، أَيُّهَا الْأَمِيرَةُ الْمُتَنَالِمَةُ الْمُعَذَّبَةُ! بَلْ وَاحْسَرَتَاهُ عَلَيْنَا فِي بُعْدِنَا عَنْكِ!



الْأَمِيرُ «حُسْنِ» يَضْطَرِبُ بَعْدَ أَنْ نَظَرَ فِي الْأَبْوَابِ.

أَلَا لَيْتَنَا لَمْ تَرْجِلْ عَنْ بِلَادِنَا!  
 أَلَا لَيْتَنَا بَقِينَا بِالْقُرْبِ مِنْكِ؛ لِنُؤْسِيَكَ وَنُؤْنِسِكَ، وَنُهُونَ عَلَيْكِ بَعْضَ مَا تُكَابِدِينَ مِنْ  
 الْآمِ قَاسِيَةَ مَوِيرَةَ، فِي سَاعَاتِكَ الْأَحِيرَةَ!  
 اشْتَدَ جَرْعُ الْأَمِيرَيْنِ الشَّقِيقَيْنِ، وَهَا لَهُمَا مَا سَمِعَا مِنْ أَخِيهِمَا الْأَمِيرِ «حُسْنِ»، وَأَقْبَلَ  
 عَلَيْهِ مُتَلَّهِفِينَ، وَسَالَادُهُ مُتَحَبِّرِينَ: «شَدَّ مَا أَرْجَعْتَنَا — يَا أَخَانَا — وَقَرَّعْتَنَا!  
 فَعَجَّلْ — بِرَبِّكَ — بِتَوْضِيْحِ مَا أَطْلَعَكَ عَلَيْهِ الْمِنْظَارُ الْعَاجِيُّ، مِنْ سِرْ حَفِيْ!

## (٩) حَدِيثُ حَزِينٌ

فَابْتَدَرُهُمَا الْأَمِيرُ «حُسَيْنٌ» قَائِلًا: «وَاحْسَرْتَا عَلَى الْأَمْيَرَةِ «نُورَ النَّهَارِ»! لَمْ يَقُلْ مِنْ عُمْرِهَا — فِيمَا رَأَيْتُ بِعِينِي — إِلَّا دَقَائِقٌ مَعْدُودَاتٌ، ثُمَّ تُفَارِقُ الْحَيَاةَ بَعْدَهَا، وَتَلْفِظُ آخِرَ أَنْفَاسِهَا، مَبْكِيًّا عَلَى شَبَابِهَا.

لَقَدْ رَأَيْتُهَا — يَا أَخَوَيِّ، مِنْ خِلَالِ الْمِنْظَارِ — نَائِمَةً فِي فِرَاشِهَا، غَائِبَةً عَنْ وَعِيهَا، وَشَهِدتُّ وَجْهَهَا الشَّاحِبَ وَقَدْ عَلَنُهُ صُفْرَةُ الْمَوْتِ، وَرَأَيْتُ وَصِيفَاتِ الْقَصْرِ مُحِيطَاتٍ بِسَرِيرِهَا، عَاطِفَاتٍ حَانِيَاتٍ، بَاكِيَاتٍ حَوْلَهَا مُتَلَّمِمَاتٍ. شَدَّ مَا فَرَّعَنِي، وَهَالَّنِي وَرَوَعَنِي، أَنْ أَرِي بِنْتَ عَمِّنَا الْعَرِيزَةَ غَائِبَةً عَنْ وَعِيهَا، سَاكِنَةً لَا حَرَكَتْ بِهَا وَلَا أَمَلَ فِي شِفَائِهَا!»

## (١٠) مَصْدَاقُ الْخَبَرِ

فَأَحَدُ الْأَمِيرِ «عَلِيٌّ» الْمِنْظَارِ وَوَضَعُهُ عَلَى عَيْنِهِ، وَرَأَى صِدْقَ مَا قَالَ أَخُوهُ، فَأَشْتَدَّ بِهِ الْجَزْعُ. وَلَمْ يَتَمَالِكِ الْأَمِيرُ «أَحْمَدُ» أَنْ يُسْرِعَ إِلَى الْمِنْظَارِ، لِيَتَعَرَّفَ جَلِيلَةُ الْخَبَرِ، وَلَمْ يَكُنْ يَنْتَظِرُ فِيهِ، وَيَبْصِرِ الْأَمْيَرَةَ «نُورَ النَّهَارِ»، وَهِيَ تُعَانِي أَلَمَ الْإِحْتِصَارِ؛ حَتَّى هَالَهُ مَا هَالَ شِقِيقِيَّهُ، وَفَرَّعَهُ مَا فَرَّعُهُمَا.

وَلَا تَسْلُ عَمَّا اسْتَوْلَى عَلَيْهِ مِنِ الْفَلَقِ، بَعْدَ أَنْ أَيْقَنَ أَنَّ هَلَكَهَا مُحَقَّقُ، وَأَنَّ الْأَجَلَ لَا يَمْتَدُ بِهَا أَكْثَرَ مِنْ لَحَظَاتٍ قَلِيلَاتٍ، ثُمَّ يُسْلِمُهَا الْمَرْضُ إِلَى الْمَمَاتِ. وَاجْتَمَعَ رَأْيُ الْأَشْقَاءِ الْثَلَاثَةِ عَلَى الْمُبَادَرَةِ بِالذَّهَابِ إِلَيْهَا، قَبْلَ أَنْ يَحِينَ حَيْنَهَا وَيُفْخَى عَلَيْهَا.

## (١١) فِي الْقَصْرِ السُّلْطَانِيِّ

وَالنَّفَقَتِ الْأَمِيرُ «أَحْمَدُ» إِلَى شِقِيقِيَّهِ قَائِلًا: «لَا شَكَّ فِي أَنَّ الْأَمْيَرَةَ «نُورَ النَّهَارِ» مَقْضِيٌّ بِالْهَلَكَةِ عَلَيْهَا، إِذَا لَمْ نُسْرِعْ بِالذَّهَابِ إِلَيْهَا.»

فَدَهِشَ الْأَمِيرَانِ مِمَّا سَمِعَا، وَلَمْ يَعْرِفَا مَاذَا يَعْنِيهِ أَخُوهُمَا؟ وَسَالَاهُ أَنْ يُفْصِحَ عَنْ غَرَضِهِ لَهُمَا. فَقَالَ: «إِنَّ فِي الطُّرْفَةِ الَّتِي ظَفِرَتْ بِهَا فِي رِحْلَتِي الشَّاقِّ الْمُضْنِيَّةِ، شِفَاءَ الْأَمِيرَةِ — بِإِذْنِ اللَّهِ — مِنْ مَرَضِهَا، وَإِبْرَاءَهَا مِنْ عِلْتَهَا وَدَائِهَا.

وَكَانَنَا وَفَقَنَى اللَّهُ إِلَى هَذِهِ النَّفِيسَةِ وَأَهْدَاهَا إِلَيْهِ؛ لِيَكُونَ شِفَاءُ الْأُمِيرَةِ عَلَى يَدِيَّ!

(١٢) عَلَى بِسَاطِ الرِّيحِ

ثُمَّ ابْتَدَرَ أَخْوَيْهِ قَائِلًا لَهُمَا فِي عَجَلَةٍ: «هُلُمًا، أَئِيَّا الشَّقِيقَانِ الْعَزِيزَانِ، وَاجْلِسَا مَعِي عَلَى بِسَاطِ الرِّيحِ؛ وَسَتَجِدَانِ أَنَّهُ وَاصِلٌ بِنَا عَلَى الْفَوْرِ، إِلَى الْأُمِيرَةِ فِي الْقُصْرِ. وَحَذَارٌ أَنْ نُضِيغَ مِنَ الْوَقْتِ لَحْظَةً وَاحِدَةً، فَالْأَمْرُ لَا يَحْتَمِلُ تَمْهِلاً وَلَا تُؤَدَّةً. هَيَا، يَا أَخْوَيْيَ، إِلَى بِسَاطِ الرِّيحِ، هَيَا».

أَسْرَعَ الْأَشْقَاءُ الْثَّلَاثَةُ إِلَى الْأَهْذِنِ بِاقْتِرَاحِ الْأَمِيرِ «أَحْمَدَ»؛ فَجَلَسُوا عَلَى بِسَاطِ الرِّيحِ يَحْدُوْهُمْ رَجَاءً وَأَمَلًّا وَإِيمَانً، إِلَى أَنْ يُدْرِكُوْهُمُ الْأُمِيرَةُ الْعَزِيزَةُ، قَبْلَ فَوَاتِ الْأَوَانِ.

(١٣) فِي حُجْرَةِ الْأُمِيرَةِ

وَمَا كَادَ الْأُمَرَاءُ يَسْتَقِرُّ بِهِمُ الْجُلُوسُ عَلَى الْبِسَاطِ الْعَجِيبِ، حَتَّى طَوَى الْفَضَاءَ طَيَّاً، وَتَمَّ لَهُمُ الْفَوْزُ وَتَحَقَّقَ السُّبُقُ، فَوَصَلُوا فِي فَتْرَةٍ وَجِيزَةٍ حُلْلٍ إِلَيْهِمْ أَنَّهَا مِثْلُ لَمْحَةِ الْعَيْنِ أَوْ وَمْضَةِ الْبَرْقِ.

وَكَانَتْ تَمْرُ تَحْتَ أَنْظَارِهِمْ، وَهُمْ فَوْقَ الْبِسَاطِ الطَّائِرِ، بَدَائِعُ مِنَ الْمَشَاهِدِ وَالْمَنَاظِرِ، عَلَى نَحْوِ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ بِهِ سَابِقُ عَهْدِ، وَلِكُنْهُمْ كَانُوا بِأَمْرِهِمْ مَشْغُولِينَ، فَلَمْ يَكُنْ هُمُّهُمْ إِلَّا أَنْ يَجِدُوا أَنفُسَهُمْ فِي حُجْرَةِ الْأُمِيرَةِ «نُورِ النَّهَارِ». وَلَا تَسْلُ عَنْ دَهْشَةِ الْمُمَرِّضَاتِ وَالْوَصِيفَاتِ الْلَّوَاتِي كُنْ يُشَرِّفُنَ عَلَى تَمْرِيْضِ الْأُمِيرَةِ، حِينَ رَأَيْنَ أَمَامَهُنَّ هَؤُلَاءِ الْفِتَيَانِ الْثَّلَاثَةَ.

كَانَتْ دَهْشَةً مَمْزُوْجَةً بِالْخُوفِ وَالْحَيْرَةِ وَالذُّعْرِ، لِغَرَابَةِ الْمُبَاغَةَ، وَسُرْعَةِ الْمُفَاجَأَةِ. وَلَمْ تَعْرِفِ الْمُمَرِّضَاتُ وَالْوَصِيفَاتُ: مِنْ أَيِّ الْأَوْطَانِ، قَدِمَ هَؤُلَاءِ الْفِتَيَانُ؟ وَأَيِّ جُرَأَةٍ دَفَعَتْهُمْ إِلَى اقْتِحَامِ هَذَا الْمَكَانِ؟ وَكَيْفَ سَوَّلَتْ لَهُمْ نُفُوسُهُمْ أَنْ يَقْتَحِمُوا قَصْرَ السَّلَطَانِ، بِلَا اسْتِدَانِ؟

ولَكِنَّهُنَّ اطْمَانُّ حِينَ لَمْ حُنَّ عَلَى وُجُوهِ الْفِتْيَانِ الْثَّلَاثَةِ اهْتَمَامُهُمْ بِالْأَمِيرَةِ «نُورِ النَّهَارِ».. وَأَسْرَعَتْ إِلَيْهِنَّ الْوَصِيَفَاتِ إِلَى مَجْلِسِ السُّلْطَانِ، لِتُنْهِيَ إِلَيْهِ الْخَبَرَ.

#### (١٤) شِفَاءُ الْأَمِيرَةِ

وَلَمْ يَدْعِ الْأَمِيرُ «أَحْمَدُ» لَحْظَةً – مِنَ الْوَقْتِ – تَمُرُّ سُدَى؛ فَكَانَ أَوَّلَ مَا عَمَدَ إِلَيْهِ الْأَمِيرُ الَّذِي كُنْتُ أَنْ أَسْرَعَ إِلَيْهِ الْأَمِيرَةَ «نُورِ النَّهَارِ»؛ فَأَذْنَى الْقَوَافِلَ الشَّافِيَةَ مِنْ فِيمَهَا وَأَنْفَهَا، وَالْأَمِيرَانِ «حُسَيْنٌ» وَ«عَلِيٌّ» يَنْظَرَانِ إِلَيْهَا فِي شَغْفٍ وَتَرَقُّبٍ.

فَلَمْ تَنْقُضْ لَحَظَاتُ قَلِيلَةٍ، حَتَّى فَتَحَتِ الْأَمِيرَةُ «نُورُ النَّهَارِ» عَيْنَيْهَا الْمُغْمَضَتَيْنِ، وَجَعَلَتْ تَنَاءَبُ، كَانَمَا تُفْيِيقٌ مِنْ نَوْمٍ طَوِيلٍ عَمِيقٍ..

وَحَرَّكَتْ لِلْحَالِ رَأْسَهَا، وَاسْتَيْقَظَتْ مِنْ (نَوْمِهَا)، وَشَفِيتْ مِنْ عَلَتَهَا. وَأَجَالَتِ الْأَمِيرَةُ لِحَاظَهَا فِي كُلِّ مَنْ حَوْلَهَا، وَابْتَسَمَتْ لِأَبْنَاءِ عَمَّهَا، وَعَحِبَتْ لِهَا الْجَمْعِ الْمُحِيطِ بِهَا مِنْ الْمُمْرَضَاتِ وَالْوَصِيَفَاتِ.

ثُمَّ جَلَسَتِ الْأَمِيرَةُ، وَهِيَ فِي أَتَمِ صِحَّةٍ، وَأَكْمَلَ عَافِيَةً، وَشَعَرَتْ بِرَغْبَةٍ شَدِيدَةٍ فِي الْمَشِيِّ وَالْتَّجَوِيْلِ؛ فَطَلَبَتْ إِلَيْهِنَّ وَصِيَفَاتِهَا أَنْ يُخْضِرُنَّ لَهَا أَفْخَرَ ثِيَابِهَا، وَأَنْفَسَ حُلْيَاهَا. وَتَاهَبَتِ لِلْخُرُوجِ مِنْ حُجْرَتَهَا، وَالذَّهَابِ إِلَى حَدِيقَتَهَا، دَاعِيَةً أَبْنَاءَ عَمَّهَا إِلَى مُصَاحِبَتِهَا. وَلَمْ تَنْدِرِ الْأَمِيرَةُ «نُورُ النَّهَارِ» أَنَّهَا كَانَتْ مَرِيضَةً مَرِضًا عُضَالًا، كَادَ يُورِدُهَا مَوَارِدَ الْهَلَالِ، وَأَنَّ أَبْنَاءَ عَمَّهَا تَعَاوَنُوا عَلَى إِنْقَازِهَا.

#### (١٥) شُكْرُ الْأَمِيرَةِ

فَلَمَّا حَدَّثَهَا وَصِيَفَاتُهَا بِحَلَيَّةِ الْأَمْرِ، تَعَاظَمَتْهَا الدَّهْشَةُ، وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا الْعَجَبُ، وَشَكَرَتِ الْأَمِيرَةُ «نُورُ النَّهَارِ» لِأَبْنَاءِ عَمَّهَا الْأُمْرَاءِ الْثَّلَاثَةِ فَضْلًا عَنِّيَّتْهُمْ بِهَا، وَنَجَّا هُنْمُ فِي شِفَائِهَا، وَإِبْرَائِهَا مِنْ دَائِهَا.

وَوَدَّتِ الْأَمِيرَةُ «نُورُ النَّهَارِ» لَوْ أَسْتَطَاعَتْ أَنْ تَجْزِيَ أَبْنَاءَ عَمَّهَا الْأُمْرَاءَ الْأَوْفِيَاءَ، عَلَى صَنِيعِهِمُ النَّبِيلِ أَوْ فِي جَزَاءٍ.



الْأَمِيرُ «أَحْمَدُ» يُقْرِبُ التُّفَاحَةَ الشَّافِيَّةَ مِنَ الْأَمِيرَةِ «نُورِ النَّهَارِ».

فَقَالَ لَهَا الْأَمِيرُ «حُسَيْنُ»: «إِنَّ سُرُورَنَا بِشْفَائِكِ مِنَ الْمَرَضِ، وَعَوْدِكِ إِلَى الْحَيَاةِ، حَيْرُ مُكَافَأَةٍ قَدَّمْتُهَا لَنَا، وَأَسْعَدْتُنَا بِهَا.  
وَحَسْبُنَا ذَلِكَ مُكَافَأَةً لَنَا وَجَرَاءً، وَأَنْعَمْ بِهِ مِنْ مُكَافَأَةٍ، وَأَعْظَمْ بِهِ مِنْ جَرَاءٍ!»

## (١٦) فَرْحَةُ السُّلْطَانِ

وَلَا تَسْلُ عَنِ ابْتِهَاجِ السُّلْطَانِ «مَحْمُود» حِينَ أَسْرَعَ إِلَى حُجْرَةِ الْأَمْيَرَةِ «نُورِ النَّهَارِ» ابْنَةَ أَخِيهِ. فَإِذَا هِيَ قَدْ شُفِيَتْ مِنْ مَرَضِهَا بَعْدَ أَنْ يَئِسَ الْأَطْبَاءُ النَّطَاطِسِيُّونَ مِنْ شَفَائِهَا، وَقَطَعُوا الْأَمْلَأِ فِي بَقَائِهَا، فَانْصَرَفُوا عَنْهَا، وَفَوَّضُوا أَمْرَهُمْ فِيهَا إِلَى اللَّهِ، وَاهِبِ الْحَيَاةِ.

أَيُّهَا الْقَارِئُ الْعَرِيزُ: لَقَدْ عَلِمْتَ – مِمَّا مَرَّ بِكَ فِي أَوَّلِ الْقِصَّةِ – كَيْفَ كَانَ السُّلْطَانُ «مَحْمُودُ» عَمُ الْأَمْيَرَةِ «نُورِ النَّهَارِ» يَعْلَفُ عَلَيْهَا، وَيَجْرِعُ لِأَقْلَلِ مَكْرُوِهِ يَلْمُ بِهَا.

وَرَأَيْتَ كَيْفَ كَانَ يُحِبُّهَا، كَمَا يُحِبُّ أَوْلَادَهُ وَيُعْنِي بِتَوْفِيرِ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ لَهَا، وَيَنْقُنَنُ – جُهْدَ مَا يَسْتَطِيعُ – فِي سَيِّلِ إِرْضَائِهَا وَإِسْعَادِهَا.

فَلَا عَجَبٌ إِذَا قُلْتُ لَكَ إِنَّ فَرَحَ السُّلْطَانِ – فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ – بِنَجَاتِهَا وَعَوْدَتِهَا إِلَى الْحَيَاةِ، كَانَ فَرَحًا مُضَاعِفًا.

وَقَدْ شَاءَ اللَّهُ – سُبْحَانَهُ أَنْ يُتَمَّ لَهُ دَوَاعِي الْبَهْجَةِ وَأَسْبَابِ السُّرُورِ؛ فَأَظْفَرَهُ بِلِقَاءِ أَوْلَادِهِ، بَعْدَ أَنْ حُرِمَ لُقْيَاهُمْ عَامًا كَامِلًا.

وَكَانَ مَا لِقَيْهُ السُّلْطَانُ مِنَ الْمَسَرَّةِ وَالْبَهْجَةِ، تَعْوِيضاً عَمَّا لَقِيَهُ طَوَالَ عَامٍ كَامِلٍ مِنْ قَلَقٍ وَتَرْقُبٍ، فَلَمْ يَبِتْ لَيْلَةٌ إِلَّا مَشْغُولُ الْبَالِ يَمْصِيرُ أَوْلَادِهِ، دَاعِيَا لَهُمْ بِالسَّلَامَةِ فِي رَحْلَاتِهِمُ الْبَعِيْدَةِ، مُنْتَظِرًا ذَلِكَ الْيَوْمَ الْمُوْعَدَ الَّذِي يَظْفِرُ فِيهِ بِعَوْدَتِهِمُ الْحَمِيْدَةِ.

## (١٧) ابْتِهَاجُ الشَّعْبِ

وَقَدْ عَبَرَ الشَّعْبُ أَكْبَرَ تَعْبِيرٍ عَنْ فَرَحِهِ وَابْتِهَاجِهِ بِمَا سَمِعَ مِنْ أَنْبَاءِ شَفَاءِ الْأَمْيَرَةِ «نُورِ النَّهَارِ»، وَعَوْدَةِ أَبْنَاءِ عَمِّهَا الْثَلَاثَةِ الْأَمْرَاءِ، وَقَدْرُوا لَهُمْ أَنَّهُمْ لَمْ يَتَّخِذُوا رِحْلَتَهُمْ لَهُوَا وَلَا لَعْبَا، وَأَنَّهُمْ لَمْ يَقْصُرُوا هَمَّهُمْ عَلَى مَلَدَاتِهِمْ وَمَارِبِهِمْ، وَإِنَّمَا جَعَلُوا مِنْ رِحْلَتِهِمْ سَيِّلًا إِلَى الْخِدْمَةِ الْعَامَّةِ.

لَقَدِ احْتَفَى الْخَاصَّةُ وَالْعَامَّةُ بِهَذِهِ الْمُنَاسِبَةِ السَّعِيْدَةِ أَعْظَمَ احْتِفَاءً؛ فَأَقَامُوا أَبْدَعَ الْزَيَّنَاتِ، وَتَبَادَلُوا أَصْدَقَ التَّهَنِّئَاتِ، وَقَرَرُوا أَنْ يَجْعَلُوا هَذَا الْيَوْمَ السَّعِيْدَ مِنْ أَيَّامِ التَّارِيْخِ عِيْدًا مِنْ أَكْرَمِ الْأَعْيَادِ، يَحْتِفِلُونَ بِهِ عَلَى الدَّوَامِ، كُلُّمَا جَاءَ مَوْعِدُهُ مِنَ الْعَامِ.

## الفَصْلُ السَّادِسُ

### (١) في مجلس السلطان

واجتمع الأمراء الثلاثة بآليهم السلطان «مُحَمَّد»، وحضر اجتماعهم الحكيم «آزاد».. وسرعان ما اتجه الحكيم بقوله إلى الأمراء الثلاثة: «حمدًا لله العلي العظيم أن أعادكم إلى بلاديكم سالمين غانمين، ولقد شهدتم كيف كان الفرج بعودتكم شاملاً، وليل تقدير لكم، وحفاوة بكم، فأخبروني بالله عليكم: بماذا أفدتم بلدكم من رحلتكم الموقفة؟ لقد نصحت لكم قبل سفركم أن تتعرفوا ما في البلاد الأخرى من منافع للناس، وتقربوها لوطنكم العزيز».

فقال الأمير «أحمد»: «لم أخالف لك نصيحة أيها الحكيم العظيم، فقد جلبت معي من مدينة بستانجار مقايير كبيرة من بدور الزهور، ونقلت معي كيفيه إنباتها، وطريقة استخراج العطور منها، ووسائل حفظها في قناني وزجاجات محكمة السدادات، بحيث يمكن أن تخمر وتترکز، وكذلك يتتسنى لها أن تبقى زمنا طويلا لا يتطرق إليها فساد. وسأبادر مع أصحاب البساتين من أهل وطني إلى زرعها في أرض خصبة، وجو صالح.

وعما قريب أهدي إليك طاقة من مجموعة الرُّهور الجديدة، إقرارا بفضلك، وذكرا لجميل نصيحة».

وقال الأمير «علي»: «أما أنا فقد نقلت معي من مدينة «شيراز» وسائل صناعة الزجاج والليلور؛ فقد رأيت في تلك المدينة بداعٍ هذِه الصناعة، فمن الزجاج عندهم ما يُتَّخذ لزينة،

وَمِنْهُ مَا يُتَّحَذُ لِعَمَلِ الْمَنَاطِيرِ الْمُخْتَلِفَةِ الْأَنْوَاعِ، وَمِنْهُ مَا يُسْتَخَدَمُ فِي صُنْعِ الْمَرَايَا الْعَجِيبَةِ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِإِحْسَانٍ وَإِنْقَانٍ. وَمَا هِيَ إِلَّا فَتْرَةُ قَصِيرَةٌ حَتَّى تَرِي مَصْنُوعَاتِ جَمِيلَةٍ نَافِعَةً مِنْ أَنْوَاعِ الْأَكْوَابِ وَالْمَصَابِيحِ وَالْمَرَايَا، وَأَصْنَافِ النَّظَارَاتِ الْمُفَرَّبَةِ وَالْمُكَبَّرَةِ.

وَسَاهِدِي إِلَيْكَ أَوَّلَ مِنْظَارٍ نَصْنَعَهُ، رَمْزاً لِمَا لَكَ مِنْ نَظَرٍ بَعِيدٍ، وَبَصِيرَةٍ نَّيِّرَةٍ، وَرَأِيٍ صَائِبٍ.

وَقَالَ الْأَمِيرُ «أَحَمْدُ»: «لَمْ أَكُنْ أَقْلَ مِنْ أَخْوَيِي اسْتِمَاعًا لِنُصْحَكَ، وَانْتِفَاعًا بِإِرْشَادِكَ؛ فَلَقَدْ كَانَ أَكْبَرَ مَا يَشْغُلُ بَالِي، أَنْ يَكُونَ فِي رَحْلَتِي مَا يَعُودُ بِالْخَيْرِ عَلَى أَهْلِ وَطَنِي، وَقَدْ حَمَلْتُ مَعِي مِنْ مَدِينَةِ «سَمَرْقَانْد» مَقَادِيرٌ كَبِيرَةٌ مِنْ بُدُورِ التَّرْزُوِعِ وَالثَّمَارِ وَالْأَعْشَابِ الَّتِي تُشْبِعُ مِنَ الْجُوعِ، وَتَشْفِي مِنَ الدَّاءِ؛ فَهِيَ غِذَاءُ نَافِعٍ، وَهِيَ أَيْضًا دَوَاءُ نَاجِعٍ، وَأَرْجُو أَنْ يَنْتَفِعَ بِهَا أَهْلُ وَطَنِي فِي تَسْيِيرِ أَقْوَاتِهِمْ، وَفِي حَفْظِ صَحَّتِهِمْ.

وَسَتَكُونُ لَكَ الْبَاكُورَةُ مِنْ كُلِّ مَا تُخْرِجُ هَذِهِ الْبُدُورُ مِنْ زَرْعٍ وَثَمَرٍ وَعُشْبٍ، وَلَكَ الْفَضْلُ بِمَا أَرْشَدْتَ، وَالشُّكْرُ عَلَى مَا أَسْدَيْتَ.

فَأَشْرَقَ وَجْهُ الْحَكِيمِ «آزَاد» وَتَطَلَّقَتْ أَسَارِيرُهُ، وَطَابَتْ نَفْسُهُ بِمَا صَنَعَ الْأَمْرَاءُ الْتَّلَاثَةُ، وَحَمَدَ لَهُمْ أَنَّهُمْ لَمْ يَجْعَلُوا رِحْلَتَهُمْ لَهُوا وَلَا عَبَثًا، وَأَنَّهُمْ أَفَادُوا وَطَنَهُمْ بِمَا رَأَوْا فِي الْبِلَادِ الْبَيْعَدَةِ مِنْ أَشْيَاءِ نَافِعَةِ النَّاسِ جَمِيعًا.

لَمْ قَصَ الْأَمْرَاءُ عَلَى أَبِيهِمُ السُّلْطَانِ مَا لَقُوا فِي أَسْفَارِهِمْ مِنْ مَسَرَّاتٍ وَأَشْجَانٍ، وَمَبَاهِجٍ وَأَحْرَانٍ، وَلَمْ يُخْفُوا عَلَيْهِ شَيْئًا مِنْ دَفَائِقِ مَا تَحَمَّلُوهُ فِي رَحَلَاتِهِمْ مِنْ مَشَقَّةٍ وَعَنَاءٍ، وَمَا تَمَتَّعُوا بِهِ مِنْ رَاحَةٍ وَهَنَاءٍ، وَمَا انْتَهَتْ إِلَيْهِ مَسَاعِيهِمْ مِنْ فَوْزٍ وَنَجَاحٍ، وَتَوْفِيقٍ وَفَلَاحٍ.

وَأَفْضَوْا إِلَيْهِ بِأَنَّ مَنْ لَمْ يَتَنَقَّلْ فِي الْبِلَادِ، لَمْ يَعْرِفْ حَقِيقَةَ الْمُجَتمَعِ الْإِنْسَانِيِّ الَّذِي يَعِيشُ فِيهِ؛ فَالرَّحْلَةُ فِي الْمَوَاطِنِ الْمُخْتَلِفَةِ تُكْسِبُ الْمَرْءَ خِبْرَةً، وَتَزِيدُهُ مَعْرِفَةً، وَتَنْقِفُهُ عَلَى جُهُودِ الْإِنْسَانِيَّةِ كُلَّهَا فِي مَيَادِينِ الْعُلُومِ وَالْفُنُونِ وَالصَّنَاعَاتِ.

وَقَصُوا عَلَيْهِ كَيْفَ تُوجَّهُ جُهُودُهُمْ – أَخْرَ الْأَمْرِ – بِمَا أَحْرَزُوهُ مِنْ تُحَفٍ وَنَفَائِسَ، وَكُلُّ مَسَاعِيهِمْ بِالْفَوْزِ وَالْإِنْتِصَارِ، وَالظَّفَرِ بِمَا حَصَلُوا عَلَيْهِ مِنْ مَغَانِمِ كِبَارٍ.

ثُمَّ حَتَّمَ الْأَمْرَاءُ الْأَشْقَاءُ أَحَادِيثَ أَسْفَارِهِمُ الْمُعْجِبَةِ الشَّائِقَةِ بِعَرْضِ نَفَائِسِهِمُ الْثَّلَاثِ عَلَيْهِ، وَتَقْدِيمِهَا إِلَيْهِ.

### (٢) حَدِيثُ الْأَمِيرِ «حُسَيْنٌ»

بَدَا الْأَمِيرُ «حُسَيْنٌ» بِعَرْضِ «بِسَاطِ الرِّيحِ»، وَشَرَحَ لِأَيْهِ مَا تَمَيَّزَ بِهِ بِسَاطُهُ الْعِجِيبُ عَنْ كُلِّ مَا عَدَاهُ مِنْ الْأَبْسِطَةِ، وَأَوْضَحَ لِأَيْهِ السُّلْطَانَ، كَيْفَ أَنَّ هَذَا الْبِسَاطَ هِيَنَ الْمَظَهَرِ، وَإِنْ كَانَ نَفِيسَ الْمَحْبِرِ، وَكَيْفَ أَنَّهُ لِرِقَّتِهِ وَخَفَقَتِهِ لَا يَعْرِفُ: أَمْنَ سَجِ الْحَرِيرِ هُوَ، أَمْ مِنْ مَادَةِ أَشَدَّ نُعْوَمَةً وَلِيَنَا؟ وَأَنَّهُ لَمْ يُصْنَعْ لِيُطْرَحَ عَلَى الْأَرْضِ، بَلْ لِيُطْرَيَ فِي السَّمَاءِ! كَمَا قَصَّ عَلَى أَيْهِ كَيْفَ أَسْعَدَتْهُ عِنَايَةُ اللَّهِ وَتَوْفِيقُهُ، فَذَلَّتْ لَهُ كُلُّ صَعْبٍ، وَيَسَّرَتْ لَهُ كُلُّ عَسِيرٍ، حَتَّى ظَفَرَ بِهَا الْمَغْنَمِ الْكَبِيرِ.

### (٣) حَدِيثُ الْأَمِيرِ «أَحْمَدٌ»

وَلَمَّا فَرَغَ الْأَمِيرُ «حُسَيْنٌ» مِنْ حَدِيثِهِ، تَبَعَهُ الْأَمِيرُ «أَحْمَدُ»؛ فَعَرَضَ عَلَى أَيْهِ السُّلْطَانِ طُرْفَتَهُ التَّانِيَةِ، وَشَرَحَ لَهُ مَزَايَا تُفَاحَتِهِ الشَّافِيَةِ. وَأَعْوَادَ عَلَى مُسْمَعِيهِ، مَا أَفْضَى بِهِ الدَّلَالُ إِلَيْهِ، مِنْ حَدِيثِ مُخْتَرِعِهَا الْبَارِعِ الْعَبْقَرِيِّ، وَكَيْفَ قَضَى جُلُّ حَيَاتِهِ فِي تَرْكِيَّهَا.. ثُمَّ حَرَمَهُ الْقَدْرُ أَنْ يُفِيدَ مِنْهَا أَوْ يَتَنَقَّعَ بِهَا؛ فَدَهِمَهُ الْمَرْضُ وَهُوَ بَعِيدٌ عَنْهَا، وَأَدْرَكَهُ الْمُوْتُ قَبْلَ أَنْ يَجْلِبُوهَا إِلَيْهِ، وَيُقْرِبُوهَا مِنْهُ. ثُمَّ ذَكَرَ لِأَيْهِ مَا قَالَ الدَّلَالُ عَنِ الْمُخْتَرِعِ الْعَبْقَرِيِّ، وَمَا تَعَرَّضَ لَهُ أَطْفَالُ الْصَّغَارِ بَعْدَ مَوْتِهِ مِنْ فَقْرٍ مُدْقَعٍ، أَجَاهُمْ إِلَى بَيْعِ احْتِرَاعِ عَائِلَّهُمْ، لِيَسْتَعِيْنُوا عَلَى مَطَالِبِ الْعِيشِ وَحَاجَاتِهِ، بِمَا يَحْصُلُونَ عَلَيْهِ مِنْ ثَمَنِهِ، فَتَحَقَّقَ لَهُمْ مَا أَرَادُوهُ. وَأَبَانَ لِأَيْهِ السُّلْطَانَ كَيْفَ هَيَّاتِ الْفُرْصَةُ سِيَّلًا مُمْهَدًا لِاخْتِبَارِ مَيْةِ هَذِهِ التَّفَاقَةِ الْعِجِيبَةِ، وَمَدَى قُدْرَتِهَا عَلَى تَحْقِيقِ الشَّفَاءِ... قَالَ الْأَمِيرُ «أَحْمَدُ»: «وَلَمْ يَكُنِ الدَّلَالُ يَبْلُغُ هَذَا الْمَدَى مِنْ حَدِيثِهِ؛ حَتَّى أَقْبَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ يَتَوَسَّلُ إِلَيْهِ - رَاجِيًّا - أَنْ يُنْقَذَ أَخَاهُ بَعْدَ أَنْ اسْتَعْصَى عَلَاجُهُ عَلَى نُطِسِ الْأَطِبَاءِ. فَأَسْرَعَنَا إِلَى الْمَرِيضِ الْمُخْتَصِّ نِقْذَهُ، قَبْلَ أَنْ يَلْفِظَ آخِرَ أَنْفَاسِهِ!

فَلَمْ يَكُدِ الْمَرِيضُ يَشَمُ التَّفَاحَةَ، حَتَّى دَبَّتْ فِي جَسْمِهِ الْحَيَاةُ مِنْ جَدِيدٍ، وَلَمْ يَلْبِسْ أَنِ اسْتَعَادَ - لِلْحَالِ - نَشَاطَهُ وَقُوَّتَهُ، وَبِأَسْهَهُ وَفُتُوَّتَهُ.

وَكَانَتْ أَمَارَاتُ الْحُرْنَ وَالْأَسَى بِاِدِيَّةٍ عَلَى أَسَارِيرِ الْأَمِيرِ «أَحْمَد»، وَهُوَ يَقُصُّ عَلَى أَبِيهِ: كَيْفَ قَسَّتْ أَحْدَاثُ الدَّهْرِ عَلَى مُخْتَرِ التَّفَاحَةِ الْعَبْرِيِّ، فَحَرَّمَتْهُ الْإِنْتِقَاعَ بِشَمَرَةِ اخْتِرَاعِهِ الْجَلِيلِ، بَعْدَ مَا بَدَّلَ مِنْ جِهَادٍ شَاقٍ طَوِيلِ.

فَقَالَ الْحَكِيمُ «آزَادُ»: «رَبُّ غَرْسٍ يَأْكُلُ ثَمَرَتَهُ غَيْرُ مِنْ غَرَسِهِ، وَرَبُّ اخْتِرَاعٍ يَنْتَفِعُ بِهِ غَيْرُ صَاحِبِهِ، وَالْجَرَاءُ الْأَوْفَ لِكُلِّ عَامِلٍ هُوَ رَاحَةُ الْضَّمِيرِ وَمَثُوبَةُ اللَّهِ».

#### (٤) جَرَاءُ الْمُحْسِنِ

كَانَ السُّلْطَانُ «مَحْمُودُ» يَسْتَمِعُ إِلَى حَدِيثِ وَلَدِهِ الْأَمِيرِ «أَحْمَد» بِشَغْفٍ وَاهْتَمَامٍ، وَإِصْغَاءٍ تَامًّا.

وَاسْتَوَى عَلَيْهِ تَفْكِيرٌ عَمِيقٌ، لِمَا سَمِعَهُ مِنْ شَرْحٍ طَرِيفٍ وَتَفْصِيلٍ دَقِيقٍ.

وَقَدْ أَعْجَبَهُ مَا عَلِقَ بِهِ الْحَكِيمُ «آزَادُ» عَلَى مَصِيرِ صَاحِبِ التَّفَاحَةِ الشَّافِيَّةِ، وَوَجَدَ فِيهِ مَعْنَى سَامِيًّا، فَأَرَادَ أَنْ يُوَكِّدُهُ لِوَلَدِهِ، فَقَالَ: «لَا تَأْسِ - يَا وَلَدِي - وَلَا تَحْزَنْ، لِمَا لَقِيْتَ مُخْتَرِ التَّفَاحَةِ الْعَبْرِيِّ مِنْ حَظٍ عَاثِرٍ شَقِيقٍ، حَرَمَهُ الْإِنْتِقَاعَ بِشَمَرَةِ اخْتِرَاعِهِ أَحْوَاجَ مَا كَانَ إِلَيْهِ، وَأَحْرَصَ مَا كَانَ عَلَيْهِ».

فَقَالَ الْأَمِيرُ «أَحْمَدُ»: «إِنَّهَا سُنَّةُ الْحَيَاةِ، يَا أَبِي، لَا سَبِيلٌ إِلَى تَغْيِيرِهَا، وَلَا خَيْرٌ - عَلَى كُلِّ حَالٍ - فِي تَعْدِيلِهَا، فَقَدْ عَلِمْنَا تَجَارِبَ الْحَيَاةِ أَنْ يَنْتَفِعَ الْإِنْسَانُ بِصَنْبِعٍ مِنْ يَسِيقُونَهُ، لِيَرِدَ مَا أَسْلَفُوا مِنْ دَيْنِهِمْ إِلَى مَنْ يَخْلُفُونَهُ».

وَلَعَلَّ أَحَوَى لَمْ يَسِيَّا مَا قَصَّهُ عَلَيْنَا وَالدُّنْيَا السُّلْطَانُ فِي طُفُولَتِنَا مِنْ أَحْدُوَثَةِ بَدِيعَةِ، وَقَعَتْ لِوَالِدِهِ الْعَظِيمِ؛ فِي أَوَّلِ مَرَاجِلِ شَبَابِهِ، مَعَ شَيْخٍ مِنَ الْمُعَمَّرِينَ، جَاؤَرَ عُمُرُهُ مِنَ السِّنِينَ.

فَقَالَ الْأَمِيرَانِ «حُسَيْنٌ» وَ«عَلِيُّ»: «إِنَّهَا أَطْرُوفَةُ لَا تُتْسَى، وَهِيَ مِنْ بَدَائِعِ الْمُلْحِ وَالْأَسْمَارِ، الَّتِي لَا تَبْلِي جِدْهُنَا عَلَى الْإِعَادَةِ وَالثَّكْرَارِ، وَمَا أَسْعَدَنَا بِسَمَاءِهَا مِنْ أَخِينَا «أَحْمَدًا» بَعْدَ اسْتِنْدَانِ أَبِينَا!»

فَقَالَ السُّلْطَانُ: «مَا أَسْعَدَنِي بِهَا، وَأَشْوَقَنِي – فِي كُلِّ حِينٍ – إِلَى سَمَاعِهَا، وَالْحَدِيثُ الطَّيِّبُ لَا يُمْلِي تَكْرَارُهُ، بَلْ يُفْيِي تَذَكَّارُهُ». فَأَنْشَأَ الْأَمِيرُ «أَحْمَدُ» يَقُولُ: «كَانَ مِنْ عَادَةِ جَدِّي الْعَظِيمِ، أَنْ يَخْرُجَ بَيْنَ حِينٍ وَحِينٍ، لِيَتَعَرَّفَ شُعُونَ شَعِيْهِ الْأَمِينِ. ثُمَّ انْتَهَى بِهِ الْمَطَافُ إِلَى أَحَدِ الْحُقُولِ. فَرَأَى شَيْخًا مُعَمَّرًا، تَجَاوَزَ الْمِائَةَ مِنْ عُمُرِهِ. فَاقْتَرَبَ جَدِّي مِنَ الشَّيْخِ، فَرَأَى مِنْ أُمِرِهِ عَجَبًا: رَآهُ يَعْرِسُ نَوَاهًا فِي حَقْلِهِ. فَابْنَدَرَ الزَّارِعَ مُسَائِلًا: «أَتَطْنَأُ أَنَّ أَجَلَكَ سَيَمْنَدُ أَعْوَامًا طَوَالًا؛ حَتَّى تَأْكُلَ مِنْ ثِمَارِ غَرْسِكِ!» فَالْتَّفَتَ الزَّارِعُ الْمُعَمَّرُ إِلَى جَدِّي السُّلْطَانِ، وَقَالَ لَهُ بِاسْمًا: «لَمْ يَخْطُرْ بِبَالِي أَنِّي سَأَعِيشُ حَتَّى آكُلَ مِنْ ثِمَارِ مَا أَزْرَعَهُ». فَسَأَلَهُ جَدِّي السُّلْطَانُ: «فَلِمَنْ – إِذْنُ – تَغْرِسُ النَّوَاهَ؟»

فَقَالَ الزَّارِعُ الْمُعَمَّرُ: «طَالَ عُمُرُ السُّلْطَانِ وَمَتَّعَهُ اللَّهُ بِالصَّحَّةِ وَالتَّوْفِيقِ وَالإِطْمَئْنَانِ، إِنَّ مَنْ سَبَقَنِي مِنَ الْأَبْاءِ غَرَسَ، لِأَكُلَّ مِنْ ثِمَارِ عَرْسِهِ.. وَقَدْ جَاءَ الْآنَ دَوْرِي، لِأَرْدَدَ جَمِيلَهُمْ لِكَبَائِي مِنْ بَعْدِي». وَقَدْ أَعْجَبَ جَدِّي السُّلْطَانُ، بِهَذَا الْجَوَابِ الْبَارِعِ، فَمَنَحَ الزَّارِعَ الْمُعَمَّرَ كِيسًا مِنَ الذَّهَبِ..

فَابْنَدَرَهُ الزَّارِعُ الذَّكِيُّ، قَائِلًا: «مَا أَسْرَعَ الْجَزَاءَ، وَأَكْرَمَ الْعَطَاءِ! شَدَّ مَا حَالَفَنِي السَّعْدُ بِلِقَاءِ السُّلْطَانِ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ فِي الْحِسْبَانِ؛ فَجَنِيَّتُ الثَّمَارَ عَلَى عَيْرِ انتِظَارِ، وَلَمَّا تَمْضَى عَلَى غَرْسِهِ لَحْظَاتٌ قَصَارُ». وَقَدْ أَعْجَبَ جَدُّنَا السُّلْطَانُ بِهَذَا الْجَوَابِ أَيْمًا إِعْجَابٍ، فَمَنَحَ الزَّارِعَ كِيسًا ثَانِيًا، مُكَافَأَةً عَلَى حُسْنِ جَوَابِهِ، وَتَعَبِّرًا لَهُ عَنْ تَقْدِيرِهِ وَإِعْجَابِهِ. فَقَالَ الزَّارِعُ: «مَا أَعْظَمَ مِنْهُ اللَّهُ وَكَرْمُهُ! إِنَّ مِنْ عَادَةِ الزَّرْعِ لَا يُثْمِرُ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً فِي الْعَامِ، وَقَدْ بَارَكَ اللَّهُ – بِالسُّلْطَانِ – غَرْبِيَ فَأَنْتَمْ، مَرَّتِينِ فِي لَحْظَتَيْنِ قَصِيرَتَيْنِ». ٧١

فَابتَهَجَ جَدِّي بِمَا سَمِعَ مِنَ الْزَّارِعِ، وَضَاعَفَ لَهُ شُكْرُهُ، وَمَنَحَهُ كِيسًا ثَالِثًا، وَانْصَرَفَ عَنْهُ..

فَقَالَ السُّلْطَانُ: «أَحْسَنْتَ – يَا وَلَدِي – أَحْسَنْتَ!»

ثُمَّ التَّفَتَ إِلَى أَوْلَادِهِ، قَائِلًا: «بَقِيَ أَنْ تَعْلَمُوا أَنَّ مَا يَعْمُرُ مِنَ الْبَهْجَةِ قُلُوبُ الْمُبْدِعِينَ الْمُخْلِصِينَ، وَيَعْمُرُ نُفُوسُ الْمُحْسِنِينَ – بِمَا أَبْدَعُوا وَأَحْسَنُوا مِنْ آيَاتِ عَبْقَرِيَّتِهِمْ، وَمَا وَفَقُوا إِلَيْهِ مِنْ نَجَاحٍ فِي إِسْعَادِ غَيْرِهِمْ – يُنْسِيهِمْ كُلُّ مَا بَذَلُوا مِنْ جُهْدٍ وَمَشْقَةٍ وَعَنَاءٍ؛ فَيُفَارِقُونَ الدُّنْيَا مَسْرُورِينَ بِمَا بَذَلُوا هَانِئِينَ، رَاضِينَ بِحَظِّهِمْ – مِنَ الْإِبْدَاعِ – قَانِعِينَ.

فَهُمْ أَشْبَهُ بِالنَّحْلَةِ الْعَالِمَةِ: تَسْعَى سَعْيَهَا، وَتُنْفَقُ وَقْتَهَا، لِتَجْنِي أَنْوَاعَ التَّمْرِ، وَتَمْتَصَّ فُنُونَ الزَّهْرِ؛ لِتُخْرِجَهُ بَعْدَ ذَلِكَ شُهْدًا لِذِيَّنَ الطَّعْمِ لِلشَّارِبِينَ، وَطَعَامًا سَائِغاً لِلْأَكْلِينَ. وَكَانَنَا لِسَانُ حَالِهَا يَقُولُ:

«أَنْفَعُ النَّاسَ، وَحَسْبِيِّي أَنَّنِي أَحْيَا لِأَنْفَعْ  
أَنْفَعُ النَّاسَ، وَمَا لِي غَيْرُ نَفْعِ النَّاسِ مَطْمَعُ!»

وَلَيْسَتِ النَّحْلَةُ بِدُعَا فِي هَذَا، فَإِنَّ دُودَةَ الْقُرْرَ تَقْضِي حَيَاتَهَا – كَمَا تَعْلَمُونَ – فِي إِعْدَادِ الْخُيُوطِ الرَّقِيقَةِ الَّتِي هِي خُيُوطُ الْحَرِيرِ؛ حَتَّى إِذَا بَذَلَتْ طَاقَتَهَا، وَأَنْجَزَتْ عَمَلَهَا عَلَى أَتَمٍ وَجْهٍ، مَاتَتْ عَلَى الْعُقُورِ، وَتَرَكَتْ – رَاضِيَّةً – حَرِيرَهَا لِغَيْرِهَا مِنَ الْلَّابِسِينَ.

وَقَدِيمًا قَالَتِ الْأَمْثَالُ الْحَكِيمَةُ: حَقًا. إِنَّ جَزَاءَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ لَا يَضِيقُ عِنْدَ اللَّهِ، فَهُوَ يُضَاعِفُ الْجَزَاءَ لِكُلِّ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ أَكْبَرَ مُكَافَأَةً يُقْيِدُهَا الْمُحْسِنُ، هُوَ قُدْرَتُهُ عَلَى الْإِحْسَانِ.

وَلَوْ عَرَفَ النَّاسُ الْيَقِينَ، وَتَمَثَّلُوا مِقْدَارَ السَّعَادَةِ الَّتِي تَقْيِضُ بِهَا قُلُوبُ الْعَالَمِينَ الْمُحْسِنِينَ، لَأَدْرَكُوا أَنَّ مَا يَشْعُرُ بِهِ الْمُبْدِعُ الْعَبْقَرِيُّ، وَمَا يُحْسِهُ الْبَطَلُ الشَّجَاعُ الْبَاذِلُ الْفِدَائِيُّ، وَهُوَ يَجُودُ بِأَنْفَاسِهِ الْأَخِيرَةِ فِي سَبِيلِ تَحْقِيقِ هَدْفِهِ، وَإِعْزَازِ وَطَنِهِ: مِنْ غَبْطَةِ وَسَعَادَةِ، وَهَنَاءِ وَرَغَادَةِ، وَمَا يَعْمُرُ قَلْبُهُ مِنْ رَاحَةٍ أَبْدِيَّةٍ، وَمَا يَعْمُرُ نَفْسَهُ مِنْ بَهْجَةٍ عُلُوِّيَّةٍ، وَنَفَحَةٍ سَمَاءِيَّةٍ؛ حِينَ يَنْتَهِي بِهِ السَّعْيُ إِلَى تَحْقِيقِ مُرَادِهِ، وَإِعْزَازِ بِلَادِهِ، وَمَا

يَظْفَرُ بِهِ – عَلَى إِحْسَانِهِ، مِنْ عَظِيمِ الْمُكَافَأَةِ وَمُضَاعِفِ الْجَزَاءِ – يَفْوُقُ كُلَّ ثَنَاءٍ وَتَقْدِيرٍ، وَيَجِدُ عَنْ كُلِّ وَصْفٍ وَتَغْيِيرٍ، وَيَتَضَاعِلُ بِالْقِيَاسِ إِلَيْهِ كُلُّ مَا تَحْوِيهِ الْأَرْضُ مِنْ كُنُوزٍ. فَلَا يَتَبَادِرُ إِلَى ذِهْنِكَ – يَا وَلِيَ – أَنَّ الْمُخْتَرَعَ الْعَبْرِيَّ قَدْ مَاتَ، بَعْدَ أَنْ حُرِمَ الْإِنْتَقَاعَ بِثِمَارِ غَرْسِهِ، مَحْزُونًا مَقْهُورًا، كَسِيرَ الْقَلْبِ مَحْسُورًا.

فَإِنَّ لِلْخَيْرِ سَعَادَةً – لَوْ عِلْمَ النَّاسُ – يَتَضَاعِلُ بِالْقِيَاسِ إِلَيْهَا سَعَادَاتُ الدُّنْيَا كُلُّهَا. وَلَئِنْ قَاتَ ذَلِكَ الْعَبْرِيَّ الْمُوْهُوبَ أَنْ يَتَتَفَعَّلُ فِي الدُّنْيَا بِثِمَرَةِ احْتِرَاعِهِ، إِنَّهُ لَمْ يَقْتُلْ أَنْ يَنْعَمَ بِمَا أَعْدَهُ اللَّهُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ حُسْنِ جَرَائِهِ، وَعِظِيمِ ثَوَابِهِ.

#### (٥) حَدِيثُ الْأَمِيرِ «عَلَيٌّ»

وَجَاءَ دَوْرُ الْأَمِيرِ «عَلَيٌّ». فَعَرَضَ نَفِيسَتُهُ الْمُمِينَةُ عَلَى أَبِيهِ السُّلْطَانِ، ثُمَّ أَعْقَبَ ذَلِكَ بِشَرْحٍ مَا تَمَيَّزَ بِهِ الْأَنْوَبُ الْعَاجِيُّ مِنْ قُدْرَةِ خَارِقَةٍ تَكْفُلُ لِمَنْ يَنْتَزِعُ فِي زُجَاجَتِيَّهُ الْعَجِيبَيْنِ، رُؤْيَاً مَا يُرِيدُ رُؤْيَتُهُ، وَلَوْ كَانَ فِي أَقْصَى مَكَانٍ فِي الدُّنْيَا!

ثُمَّ أَفْضَى إِلَيْهِ بِمَا لَقِيَهُ مِنْ عِنَايَةِ اللَّهِ، فِي رِحْلَتِهِ الطَّوِيلَةِ، وَكَيْفَ تَعَاوَنَتْ أَسْبَابُ التَّوْفِيقِ عَلَى اهْتِدَائِهِ إِلَى التُّحْفَةِ الْجَلِيلَةِ. فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ حَدِيثِهِ، قَالَ لَهُ السُّلْطَانُ: «مَتَى أَرَادَ اللَّهُ أَمْرًا هَيَّأَ لَهُ أَسْبَابَهُ، وَذَلِلَ عَقَبَاتِهِ وَيَسَّرَ صِعَابَهُ، فَأَحْمَدَ اللَّهُ الْعَلِيُّ الْقَدِيرَ عَلَى مَا يَسَّرَ لَكَ مِنْ ظَفَرِ بِمَطْلِبِ الْخَطِيرِ.

وَكَانَ السُّلْطَانُ «مَحْمُودُ» بَادِيَ الْغِبْطَةِ، مَوْفُورَ السُّرُورِ بِمَا سَمِعَهُ مِنْ أَحَادِيثِ أَوْلَادِهِ.

وَكَانَ فَرْحُ أَبْنَائِهِ بِبُلُوغِ مَرَادِهِمْ وَنَجَاحِ مَسَاعِيهِمْ، لَا يُعَادِلُهُ إِلَّا فَرْحُ أَبِيهِمْ.

عَلَى أَنَّ السُّلْطَانَ «مَحْمُودًا» لَمْ يَفْتُهُ بِذَكَائِهِ وَفِطْنَتِهِ أَنَّ أَبْنَاءَهُ – مَعَ فَرَحِهِمْ بِالرُّجُوعِ إِلَى الْوَطَنِ، وَسَعَادَتِهِمْ بِالتَّلَاقِي – يَرْتَسِمُ عَلَى وَجْهِهِ كُلُّ مِنْهُمْ شُعُورٌ بِالرَّهْوِ، يَحْمِلُ مَعْنَى الْإِنْتَصَارِ وَالْتَّفْوُقِ وَالْأُمْتِيَازِ.

وَكَانَنَّا خُلِّيَّ لِكُلِّ أَمِيرٍ مِنْهُمْ أَنَّ طُرْفَتَهُ وَحْدَهَا، أَقْوَمُ مِنْ كُلِّ مَا يَحْوِيهِ الْعَالَمُ مِنْ غَوَالِي التُّحَفِ، وَنَفَائِسِ الْطُّرُفِ، وَصَاحِبُهَا إِذْنُ أَوْلَى بِالْتَّقْضِيلِ وَأَجْدُرُ بِالْأَخْتِيَارِ.

## (٦) احْتِكَامُ الْأُمَّرَاءِ

وَاجْتَمَعَ رَأْيُ الْأُمَّرَاءِ التَّلَاثَةَ عَلَى أَنْ يَحْتَكِمُوا إِلَى أَيْمَمِ السُّلْطَانِ، وَإِلَى حَكِيمِ الْأُمَّةِ «آزَادَ»، لِيُذْلِيَ كُلُّ مِنْهُمَا بِرَأْيِهِ الْقَاطِعِ وَقَرَارِهِ الْحَاسِمِ؛ لِيَتَعَرَّفُوا: أَيْمَمٌ صَاحِبُ الْفَضْلِ فِي شِفَاءِ بَنْتِ عَمِّهِمْ، وَأَحَقُّ بِالْفَوْزِ عَلَى أَخْوَيْهِ بِهَا، وَالإِسْتِئْشَارُ بِنَوَاجِهَا؟ صَمَتَ السُّلْطَانُ «مَحْمُودُ» وَالْحَكِيمُ «آزَادُ»، وَأَطَالَ كُلُّ مِنْهُمَا تَفْكِيرُهُ فِيمَا سَمِعَ مِنْ حَدِيثِ الْأُمَّرَاءِ، وَظَلَّ يُوَازِنُ بَيْنَ مَزَاعِمِهِمْ وَآرَائِهِمْ، وَأَدِلَّتِهِمْ وَبَرَاهِينِهِمْ — فِي صَبَرٍ وَأَنَاءَةٍ وَرَوَيَّةٍ — مُوازِنَةً حَكِيمٌ مُنْصِفٌ عَادِلٌ، لَا يَحِيدُ بِهِ الْهَوَى وَلَا يَمِيلُ، وَلَا يُضِلُّهُ الْإِنْحِيَازُ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ.

## (٧) رَأْيُ الْحَكِيمِ

ثُمَّ التَّفَتَ الْحَكِيمُ «آزَادُ» إِلَى الْأُمَّرَاءِ قَائِلًا: «أَوْلُ مَا أَبْدَأْ بِهِ حَدِيثِي إِلَيْكُمْ — بَعْدَ مَا رَأَيْتُ مِنْ ذَلِيلِ فَضْلِكُمْ، وَثَمَرَاتِ جَدْكُمْ وَاجْتِهادِكُمْ — هُوَ أَنْ أَزْفَ إِلَيْكُمْ أَصْدَقَ تَهْنِيَّاتِي، وَأَخْلَصَ تَحِيَّاتِي، وَأَوْفَرَ إِعْجَابِي.

وَصَمَتْ «آزَادُ» هُنْيَّهُ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ فَضْلَ شِفَاءِ الْأُمَّرَاءِ مِنْ عِلْتَهَا، وَنَجَاتِهَا مِنْ مُحْنَتَهَا، عَائِدٌ إِلَيْكُمْ، وَهُوَ شَرِكَةُ بَيْنِكُمْ، لَا يَخْتَافُ فِي هَذَا اثْنَانِ، وَلَا يَتَنَازَعُ رَأْيَانِ. فَقَدْ شَاءَ الْقَدْرُ الْعَجِيبُ أَنْ يُسْهِمَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ فِي شِفَاءِ الْأُمَّرَاءِ، بِأَكْبَرِ قِسْطٍ وَأَوْفَ نَصِيبٍ.

حَسْبُكُمْ جَزَاءً عَلَى عَمَلِكُمْ، وَأَجْرًا عَلَى فَضْلِكُمْ، أَنْ بَذَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ جُهْدَ مَا يَسْتَطِيعُ، فِي غَيْرِ تَوَانٍ وَلَا تَقْصِيرٍ؛ حَتَّى انتَهَى سَعْيُكُمُ الْمُوْفَقُ إِلَى هَذَا الْمَصْبِرِ. ذَلِكَ نَصِيبُكُمْ مِنَ الْفَضْلِ فِي شِفَاءِ الْأُمَّرَاءِ «نُورُ النَّهَارِ». وَهَذَا حَقُّكُمُ الَّذِي يَعْتِرُفُ لَكُمْ بِهِ كُلُّ مُنْصِفٍ، وَلَا يُحَاصِمُكُمْ فِيهِ مُكَابِرٌ مُحْجِفُ.

أَمَّا أَنْ يُحَاوِلَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَنْسُبَ الْفَضْلَ كُلَّهُ لِنَفْسِهِ، وَيَسْتَأْشِرَ بِهِ وَحْدَهُ؛ فَذَلِكَ مَا لَا سَبِيلٌ إِلَيْهِ، وَهِيَهَاتَ أَنْ يُقْرَرُكُمْ رَأْيُ عَلَيْهِ! وَإِنِّي تَارُكُ لِأَيْكُمْ أَنْ يُفْصِلَ لَكُمْ — مِنْ رَأْيِي — مَا أَجْمَلَتُ، وَيُوَضَّحَ لَكُمْ — مِنْ حُكْمِي — مَا أَوْجَزْتُ.



الْأَمْرَاءُ يَحْتَكُمُونَ إِلَى السُّلْطَانِ وَالْحَكِيمِ «آزَادَ».

#### (٨) فَضْلُ التُّفَاخَةِ

فَقَالَ السُّلْطَانُ لِبَنِيهِ: «نِعْمَ الرَّأِيُّ مَا رَأَى الْحَكِيمُ «آزَادُ». لَقَدْ كَانَتِ التُّفَاخَةُ الشَّافِيَةُ الَّتِي ظَفَرَ بِهَا الْأَمْرَيْرُ «أَحْمَدُ» — أَصْبَرَ أَبْنَائِي — سَبَبَ شِفَاءَ الْأَمْرِيَةِ: «نُورُ النَّهَارِ» فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُدْنِي التُّفَاخَةَ الشَّافِيَةَ مِنْ فِيمَا الْأَمْرِيَةِ وَأَنْفِهَا؛ حَتَّىٰ شُفِيتَ — عَلَى الْفَوْرِ — مِنْ مَرَضِهَا، وَكُتِبَتْ لَهَا الْعُودَةُ إِلَى حَيَاتِهَا، بَعْدَ أَنْ أَشْرَفَتْ عَلَى حَتْفِهَا أَلَيْسَ ذَلِكَ، يَا «أَحْمَدُ»!

بَلِّ، إِنَّهُ حَقٌّ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَا مِرَاءَ، وَلَنْ تَجِدَ – يَا بُنَيَّ الْعَزِيزَ – مَنْ يُنْكِرُهُ عَلَيْكَ  
أَوْ يَدْعِيهِ، أَوْ يُنَازِرُكَ الْفَضْلَ فِيهِ.  
وَمَا أَحْسَبَ أَنَّ أَخْوَيْكَ «حُسَيْنًا» وَ«عَلِيًّا» يَجْحَدَانِ لَكَ هَذَا الْفَضْلُ الْعَظِيمُ فِي شِفَاءِ  
ابْنَةِ عَمِّكَ الْأَمِيرَةِ.  
فَلَوْلَا تُفَاحَثُ الشَّافِيَّةُ الَّتِي جَلَبَتْهَا مَعَكَ، لَهَاكُتْ «نُورُ النَّهَارِ»، وَأَصْبَحَتْ حَبْرًا مِنَ  
الْأَخْبَارِ.

لَوْلَا تُفَاحَثُ الْعَجِيْبَةُ الَّتِي لَا عَهْدَ لِلنَّاسِ يَمْثُلُهَا مِنْ قَبْلُ، لَفَارَقَ رُوحُهَا الْجَسَدَ،  
وَفَقَدْنَا بِنْتَ عَمِّكَ إِلَى الْأَبْدِ، دُونَ أَنْ يَتَمَكَّنَ مِنْ إِنْقَادِهَا أَحَدٌ.  
أَلْسُتَ تَرَايَ – يَا وَلِيَ الْعَزِيزَ – أَنْصَفْتُكَ، وَمَا نَقْصَنْتُ شَيْئًا مِنْ حَقِّكَ وَلَا  
عَيْنَتْكَ؟  
قَالَ الْأَمِيرُ «أَحَمْدُ» مُعْجِبًا بِمَا سَمِعَ: «شُكْرًا لَكَ – يَا أَبِي – شُكْرًا، فَمَا قُلْتَ إِلَّا  
الْحَقُّ، وَمَا نَطَقَتْ بِغَيْرِ الصَّدْقِ».

## (٩) فَضْلُ الْمِنْظَارِ وَالْبِسَاطِ

ثُمَّ التَّفَتَ إِلَيْهِ السُّلْطَانُ، وَاسْتَأْنَفَ حَدِيثَهُ، قَائِلًا: «بِقَيْ عَلَيْكَ أَنْ تُخْبِرَنِي فِي صَرَاحَةٍ  
وَصِدْقٍ وَجَلَاءِ، دُونَ مُوَارِبَةٍ وَلَا لَبِسٍ وَلَا التَّوَاءِ: كَيْفَ عَرَفْتَ أَنَّ الْأَمِيرَةَ «نُورَ النَّهَارِ»  
مُشَرِّفَةٌ عَلَى الْمَوْتِ، مُشْفِيَّةٌ عَلَى التَّلَافِ.  
أَعْرَفْتَهُ بِإِلَهَامٍ، أَوْ رَأَيْتَهُ فِي مَنَامٍ؟

أَلَيْسَ فَضْلُ هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ عَائِدًا إِلَى مِنْظَارِ أَخِيكَ: الْأَمِيرُ «عَلِيًّا»، ذَلِكَ الْمِنْظَارُ الْعَاجِيُّ!  
أَلَيْسَ هَذَا الْمِنْظَارُ الْفَيْسُ – الَّذِي لَقِيَ أَخْوَكَ الْأَهْوَالِ فِي سَبِيلِ الْحُصُولِ عَلَيْهِ –  
قَدْ نَبَهَكَ إِلَى مَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ ابْنَةُ عَمِّكَ مِنْ خَطَرٍ مُحْدِقٍ مُطِيقٍ، وَمَا أَشْرَفْتَ عَلَيْهِ مِنْ هَلَكٍ  
عَاجِلٍ مُحَقَّقٍ؟

أَتَرَى فِيمَا أَقُولُهُ لَكَ مَجَالًا لِلشَّكِّ؟  
إِنْ كَانَ لَكَ اعْتِرَاضٌ – عَلَى ذَلِكَ – فَهَاهُتَهُ.  
فَقَالَ الْأَمِيرُ «أَحَمْدُ»: «كَلَّا – أَبْتَاهُ – كَلَّا، فَالْحَقُّ مَا أَبْنَتَ، وَلَيْسَ لِذِي عَقْلٍ أَنْ  
يَعْتَرِضَ عَلَى مَا قُلْتَ».

فَوَجَّهَ السُّلْطَانُ حَدِيثَهُ إِلَى أَبْنَائِهِ، قَائِلاً:  
**أَيُّهَا الْأَبْنَاءُ، الْبَرَّةُ الْأَعْزَاءُ:**  
إِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَخَبِّرُونِي، أَيُّهَا الْعُقَلَاءُ الْأَذِكَيَاءُ، فِي صَرَاحَةٍ وَوُضُوحٍ وَجَلَاءٍ.  
أَكَانَتْ تُجْدِي تُفَاحَةُ الْأَمِيرِ «أَحْمَد»، وَمَنْظَارُ الْأَمِيرِ «عَلِيٌّ» مُجْتَمِعَيْنِ، لَوْلَا بِسَاطُ  
الرِّيحِ الَّذِي ظَفَرَ بِهِ أَخْوَكُمَا الْأَمِيرِ «حُسَيْنٌ»؟

#### (١٠) فَضْلُ مُشَرَّكٍ

فَرَحَ الْأَمِيرُ «حُسَيْنٌ» بِمَا سَمِعَ مِنْ تَقْدِيرِ لِسَاطِ الرِّيحِ الَّذِي ظَفَرَ بِهِ، وَلَمْ يَجِدِ الْأُمْرَاءُ  
الثَّلَاثَةُ بُدُّا مِنَ التَّسْلِيمِ وَالْإِذْعَانِ لِمَا وَعَتْهُ أَسْمَاعُهُمْ مِنْ قَوْلٍ.  
وَسَكَتَ السُّلْطَانُ قَلِيلًا، ثُمَّ قَالَ: «هَأَنْتُمْ أُولَاءِ تَرَوْنَ – يَا أَوْلَادِي – كَيْفَ تَعَاوَنَتُمْ  
نَفَائِسُكُمُ الْثَّلَاثُ مُجْتَمِعَةً عَلَى إِنْقَادِ ابْنَةِ عَمِّكُمُ الْأَمِيرَةِ «نُورِ النَّهَارِ»، وَكَيْفَ رَدَّتُ إِلَيْهَا  
نِعْمَةُ الْحَيَاةِ، بَعْدَ أَنْ يَئْسَتْ مِنَ النَّجَادَةِ.  
هَأَنْتُمْ أُولَاءِ تَرَوْنَ كَيْفَ كَانَ لَكُمْ – جِمِيعًا – فَضْلُ مُشَرَّكٍ فِي شِفَائِهَا، وَإِبْرَائِهَا  
مِنْ عِلْتِهَا وَدَائِهَا».

#### (١١) اجْتِمَاعُ الْأَسْبَابِ

وَمَضَى السُّلْطَانُ فِي حَدِيثِهِ، يَقُولُ: «هَأَنْتُمْ أُولَاءِ تَرَوْنَ أَنَّ ثَلَاثَ النَّفَائِسِ لَوْ نَقَصْتُ مِنْهَا  
وَاحِدَةً، مَا كَانَ لَهَا نَفْعٌ فِي شَفَاءِ الْأَمِيرَةِ وَلَا فَائِدَةُ.  
لَقَدْ أَرَأْكُمُ الْمِنْظَارُ مَا كَانَ يَتَهَدَّدُ الْأَمِيرَةَ «نُورِ النَّهَارِ» – ابْنَةِ عَمِّكُمْ – مِنْ خَطَرِ  
وَحَالَفُكُمُ التَّوْفِيقُ فِي الْحُصُولِ عَلَى دَوَائِهَا، الَّذِي أَطْفَرَنَا بِشَفَائِهَا.  
وَلَمْ يَكُنِ الظَّفَرُ بِالْمِنْظَارِ، وَالْحُصُولُ عَلَى الدَّوَاءِ، كَافِيَنِ لِتَحْقِيقِ مَا هَدَفْتُمْ إِلَيْهِ،  
وَحَرَصْتُمْ عَلَيْهِ! لَقَدْ كُنْتُمْ – حِينَئِذٍ – عَلَى مَسَافَةِ بَعِيدَةٍ، لَا سَبِيلَ إِلَى اجْتِيَازِ مَرْحَلَةٍ  
وَاحِدَةٍ مِنْ مَرَاحِلِهَا الطَّوِيلَةِ، قَبْلَ أَنْ تُسْلِمَ الْأَمِيرَةُ رُوحَهَا إِلَى بَارِئَهَا، وَتَجُودَ بِآخِرِ  
أَنْفَاسِهَا».

ثُمَّ التَّفَتَ السُّلْطَانُ إِلَى الْأَمِيرِ «أَحْمَدَ» قَائِلًا: «خَبَرْنِي — بِرَبِّكَ — يَا وَلَدِي الْعَزِيزِ: مَاذَا كَانَتْ تُجْدِي التُّفَاحَةُ الشَّافِيَةُ فِي إِنْقَادِ الْأَمِيرَةِ، وَأَنْتَ مِنْهَا عَلَى بُعْدِ تِلْكَ الْمَسَافَاتِ الشَّاسِعَةِ؟ وَمَاذَا كُنْتَ صَانِعًا — يَا بُنَيَّ — فِي اجْتِيَازِ مَا يَفْصِلُكَ عَنْهَا مِنْ آفَاقِ مُتَرَامِيَّةٍ وَاسِعَةٍ؟»

ثُمَّ التَّفَتَ إِلَى الْأَمِيرِ «عَلَيِّ» مُسَائِلًا: «وَخَبَرْنِي، يَا وَلَدِي الْأَمِيرِ: أَيُّ نَفْعٍ لِلنِّظَارِ الْعَاجِيِّ وَحْدَهُ؟ وَمَاذَا كَانَ يُجْدِيْكُمْ مَا عَرَفْكُمْ بِهِ مِنْ أَخْبَارِ الْأَمِيرَةِ، وَمَا تُعَانِيهِ مِنْ مَرْضِهَا، وَمَا تَسْتَقْبِلُهُ مِنْ مَصْرِيرَهَا؟»

ثُمَّ وَجَهَ السُّلْطَانُ حَدِيثَهُ إِلَى الْأَخْوَيْنِ مَعًا: «أَكَانَ عِلْمُكُمَا بِأَنَّ ابْنَةَ عَمِّكُمَا الْأَمِيرَةَ نُورَ النَّهَارِ مُمْشِرَفَةً عَلَى الْهَلَكِ، وَظَفَرُكُمَا بِالدَّوَاءِ النَّاجِعِ الْكَفِيلِ بِشَفَائِهَا، يَكْفِيَانِ — وَحْدَهُمَا — لِنَجَاهِهَا؟

لَقَدْ شَاءَتْ الْطَافُ اللَّهِ — سُبْحَانَهُ — أَنْ تُذَلِّلَ لَكُمَا الْمُحَالَ، وَتُتِيسِّرَ مَا صَعْبَ مِنَ الْأَمَالِ؛ فَهَيَّأْتُ لَكُمَا وَسِيَّلَةَ الِإِنْتِقَالِ، لِنَجْدَتِهَا فِي الْحَالِ؛ فَحَمَلَكُمَا بِسَاطُ أَخِيكُمَا إِلَى ابْنَةِ عَمِّكُمَا، قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَ إِلَيْكُمْ طَرْفَكُمْ، وَمَهَدَ لَكُمْ — بِذَلِكَ — سَبِيلَ نَجَاتِهَا، وَأَتَاحَ لَكُمْ فُرْصَةً إِغْاثَتِهَا وَإِنْقَادِ حَيَاةِهَا، قَبْلَ أَنْ يَقْوُتَ الْأَوَانُ، وَتُنْصِبَحَ الْمَرِيضَةُ الْمُخْتَسَرَةُ فِي خَبْرِ كَانَ!»

## (١٢) أَتَّ الْتَّعَاوُنُ

لَمْ يَكُنَ السُّلْطَانُ يَبْلُغُ مِنْ حَيْثِهِ الشَّائِقِ هَذَا الْمَدَى، حَتَّى التَّفَتَ إِلَى بَنْيِهِ الْتَّلَاثَةِ قَائِلًا: «هَانُتُمْ أُولَاءِ — أَيُّهَا الْأَحْوَةُ الْخُلَصَاءُ — تَرَوْنَ أَنَّ الْمِنْظَارَ الْعَاجِيِّ وَالْتُّفَاحَةُ الشَّافِيَةُ — مُجْتَمِعَيْنِ — لَا يُحَقِّقَانِ الْغَايَةَ الْخَلِيلَةَ الَّتِي تَعَاوَنْتُمْ عَلَيْهَا، وَرَكِبْتُمُ الْأَهْوَالَ فِي سَبِيلِ تَحْقِيقِهَا، وَالْوُصُولِ إِلَيْهَا، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ لَا يَعْنِي بِحَالٍ، أَنَّنَا نَجْدُ فَضْلَ الْمِنْظَارِ النَّادِرِ الْمِثَلِ، أَوْ أَنَّنَا نُنْكِرُ مَا لِلْتُّفَاحَةِ مِنْ عَظِيمِ الْأَثْرِ، وَبِالْعَلَى الْخَطَرِ. وَهَانُتُمْ أُولَاءِ تَرَوْنَ، فِي غَيْرِ شَكٍ وَلَا ارْتِيَابٍ، كَيْفَ تَهَيَّأْتُمُ الظُّرُوفُ وَتَجَمَّعَتِ الْأَسْبَابُ، وَذُلِّلَتِ الْعَقَبَاتُ وَالصَّعَابُ، عَلَى إِنْجَازِ مَا عَزَّ تَحْقِيقُهُ مِنْ الرُّغَابِ.

هَانْتُمْ أُولَاءِ تَرَوْنَ أَنَّ الْبِسَاطَ الطَّائِرَ هُوَ الَّذِي أَتَاهُ لَكُمَا أَنْ تَسْتَفِيدُوا بِعِلْمِكُمْ  
بِمَرَضِ الْأُمَّيَّةِ ابْنِهِ عَمْكُمْ، وَهُوَ الَّذِي يَسِّرَ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْضِرُوا لَهَا التُّفَاحَةَ الشَّافِيَّةَ، فَلَوْلَا  
هُوَ لَخَرَجَ الْأَمْرُ مِنْ يَدِكُمْ، وَلَعَجَزْتُمْ عَنْ تَحْقِيقِ سُؤْلِكُمْ.

هَانْتُمْ أُولَاءِ تَتَبَيَّنُونَ – فِي وُضُوحٍ وَجَلَاءٍ، دُونَ لَبِسٍ وَلَا خَفَاءٍ – كَيْفَ تَعَاوَنْتُمْ هَدَائِيَّا كُمْ  
الثَّلَاثُ مُجْتَمِعَةً عَلَى التَّعْجِيلِ لِلْأُمَّيَّةِ بِالشَّفَاءِ.  
هَانْتُمْ أُولَاءِ تَرَوْنَ أَنَّ هَدَائِيَّا كُمْ – عَلَى نَفَاسَتِهَا، وَجَلَالِ خَطَرِهَا – لَوْ نَقَصْتُ مِنْهَا  
طُرْفَةً وَحِيدَةً لَمَا ظَفَرْنَا بِهَذِهِ الْخَاتِمَةِ السَّعِيدَةِ».



## الفَصْلُ السَّابِعُ

### (١) وَاحِبُّ الْإِنْصَافِ

كَانَ الْأُمَرَاءُ الْثَلَاثَةُ يُنْصَتُونَ إِلَى حَدِيثِ أَيْمَهُمْ، مَأْخُوذِينَ بِسُخْرِ بَيَانِهِ، وَأَصَالَةِ رَأْيِهِ وَبَرَاعَةِ تَبْيَانِهِ، مُعْجِبِينَ بِصِدْقِ حُجَّتِهِ وَرَجَاحِهِ بُرْهَانِهِ.

وَقَدِ اشْتَدَ فَرَحُ السُّلْطَانِ «مَحْمُودٍ» بِمَا بَدَا عَلَى أَسَارِيرِ ثَلَاثَةِ أَبْنَائِهِ الْأَشْقَاءِ، مِنْ دَلَائِلِ الْإِقْتِنَاعِ بِحُجَّتِهِ، وَالْإِرْتِياحِ لِبَرَاهِينِهِ وَأَدِلَّتِهِ، وَالْتَّسْلِيمِ بِرَأْيِهِ وَمَشْوَرِتِهِ، وَالْإِيمَانِ بِإِنْصَافِهِ وَعَدَالَتِهِ.

وَبَعْدَ أَنْ أَمْسَكَ السُّلْطَانُ «مَحْمُودٌ» عَنِ الْكَلَامِ هُنْيَهُهُ قَصِيرَةً، رَفَعَ رَأْسَهُ، وَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ عَلَى أَوْلَادِهِ، وَاسْتَأْنَفَ مَا بَدَأَ مِنْ حَدِيثِهِ، فَقَالَ: «لَقَدْ وَضَحَ لِكُمْ أَيُّهَا الْأَبْنَاءُ، الْبَرَرَةُ الْأَوْفِيَاءُ، الْبَرَعَةُ الْفُطَنَاءُ، أَنَّ وَاحِبَّ الْإِنْصَافِ يَقْضِي عَلَيَّ أَلَا أَفْضُلُ أَحَدُكُمْ عَلَى شَقِيقَيْهِ، وَأَحْكُمُ لَهُ بِالْفَوْزِ دُونَ أَخْوَيِهِ، بَعْدَ أَنْ تَمَّ لَكُمُ النَّجَاحُ، بِفَضْلِ تَعَاوِنِكُمُ الْوَثِيقِ، وَتَحَقَّقَ لَكُمْ مَا كَانَتْ تَصْبِيْلِيَّةُ نُوكُسُكُمْ مِنْ مُرَايَدِ بَعِيْدٍ، وَهَدَفَ رَشِيدٍ.

الْحُقُّ – يَا أَبْنَائِي – أَحَقُّ بِالْإِيْثَارِ، وَأَجْدُرُ بِالْفَوْزِ وَالْإِنْتِصَارِ، وَمَنْ لَمْ يُعُودْ نَفْسَهُ قَبْوِلَ الْحُقُّ خَابَ سَعْيُهُ، وَضَلَّ رَأْيُهُ.

وَأَرَى أَنَّ وَاحِبَّ الْإِنْصَافِ يُحَتَّمُ عَلَيَّ أَلَا أَخْتَصَ مِنْكُمْ وَاحِدًا بِعِيْنِهِ، وَأَفِرَدُهُ بِالْتَّقْضِيلِ وَالْأَخْتِيَارِ، لِلرِّزْوَاجِ بِابْنَةِ عَمِّكُمُ الْأَمِيرَةِ: «نُورِ النَّهَارِ».

وَهَيْهَاتَ أَنْ تَخْفَى عَلَى فِطْنَةِ أَبْنَائِي الْأَعْرَاءِ، الْمُتَحَابِينَ الْأَصْفِيَاءِ، مَا تَزْدَحِمُ بِهِ الْحَيَاةُ مِنْ شُتُّونٍ كَثِيرَةٍ تُشْبِهُ مَا نَحْنُ فِيهِ، وَإِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ فِطْنَةً وَذَكَاءً، وَبَرَاعَةً وَدَهَاءً،

لِيَقِفُّ أَمَامَ هَذِهِ الشُّنُونِ حَائِرًا بَيْنَ مَيْزَاتِهَا الْمُتَعَدِّدَةِ، عَاجِزًا عَنْ أَنْ يُرَجِّحَ فِيهَا مَيْزَةً — مَهْمَا جَلَّ وَعَظُمَتْ — وَيُفْضِلُهَا عَلَى سَوَاهَا، وَيَخْتَصِّهَا وَحْدَهَا بِالْتَّنَاءِ دُونَ أَنْ يَتَعَدَّهَا. وَإِنِّي مُذَكِّرُكُمْ — إِنَّا شِتْنُمْ — بِنَمَادِجَ تُوَضِّحُ لِأَذْهَانِكُمْ — عَلَى قِلَّتِهَا وَإِيجَازِهَا — حَقِيقَةَ مَا أَبْغَيْهُ، وَتُفَسِّرُ لَكُمْ كُلَّ مَا أَقْحَدُ إِلَيْهِ وَأَعْنِيهِ». فَأَسْرَعَ الْأُمْرَاءُ التَّلَاثَةُ يَقُولُونَ: «هَاتِ مَا عِنْدَكِ مِنْ أَمْثَلٍ، فَإِنَا إِلَيْهَا مَشْوَقُونَ».

## (٢) اجتماع القوى

فَشَرَعَ السُّلْطَانُ «مَحْمُودُ» يَقُولُ: «تُرَى لَوْ سَأَلُكُمْ سَائِلٌ: «أَيُّ الْقُوَى النَّافِعَةِ فِي هَذَا الْوُجُودِ جَدِيرَةٌ أَنْ تَخْتَصُوهَا وَحْدَهَا بِشَيْءٍ كُمْ، وَتَقْرُدُوهَا بِمَوْفُورٍ إِعْجَابِكُمْ، وَتَرْدُدُوا إِلَيْهَا وَحْدَهَا الْفَضْلُ كُلُّهُ فِي بَقَاءِ الْحَيَاةِ: أَهِيَ الشَّمْسُ، أَمِ الْمَاءُ، أَمِ الْهَوَاءُ، أَكْنَتْ تَسْتَطِيُعُونَ الْإِجَابَةَ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ؟ أَيُّ قُدْرَةٍ عَاقِلٍ مُنْصِفٍ أَنْ يُفَاضِلَ بَيْنَهَا، وَيُؤْثِرَ إِحْدَاهَا عَلَى غَيْرِهَا؟ كَلَّا، لَا سَبِيلٌ إِلَى ذَلِكَ بِحَالٍ!»

لِمَادَى؟ لِأَنَّ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ الْقُوَى النَّافِعَةِ مَيْزَتَهَا وَفَضْلَهَا فِي دُنْيَانَا الَّتِي نَعِيشُ فِيهَا، وَلَا سَبِيلٌ إِلَى حَيَاةٍ وَاحِدَةٍ غَيْرَنَا مِنَ الْكَائِنَاتِ بِدُونِنَا!

فَإِذَا نَقَصْتُ وَاحِدَةٍ مِنْهَا، بَطَلَتْ مَنَافِعُ مَا عَدَاهَا، وَلَمْ يُغْنِ عَنْهَا سَوَاهَا، وَلَوْ أَعْوَزْتَنَا الشَّمْسُ، أَوِ الْهَوَاءُ، أَوِ الْمَاءُ لَانْتَفَتْ أَسْبَابُ الْبَقَاءِ، وَانْتَهَى الْكَوْنُ وَسَاسِكُنُوهُ إِلَى الْفَنَاءِ، وَهَيْهَا أَنْ تَدُومَ الْحَيَاةُ بِغَيْرِ هَذِهِ الْقُوَى التَّلَاثِ: مُجْمِعَةً، لِإِنْسَانٍ أَوْ نَبَاتٍ أَوْ حَيَوانٍ! وَقَدْ رَأَيْتُمْ فِي هَذَا الْمُثَلِ الْوَاضِحِ — عَلَى وَجَارِتِهِ — مَا يُفَسِّرُ لَكُمْ مَا نَحْنُ بِسَبِيلِهِ مِنْ تَعَاوُنٍ هَدَائِيَّا كُمْ وَنَفَائِسِكُمْ، وَافْتِقَارٍ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا إِلَى الْأُخْرَى.

وَقَدْ شَاءَتْ إِرَادَةُ اللَّهِ — سُبْحَانَهُ — أَنْ يُسْخِرَ لَنَا الشَّمْسَ وَالْمَاءَ وَالْهَوَاءَ جِمِيعًا لِخِدْمَتِنَا، وَأَنْ تَكُونَ مَصَادِرُ حَيَاتِنَا، وَصَحَّاتِنَا وَقُوَّاتِنَا. ذَلِكَ مَثَلٌ وَاحِدٌ مِنْ قُوَى الطَّبِيعَةِ الَّتِي تُحِيطُ بِنَا، عَرَضْتُهُ عَلَيْكُمْ فِي إِيجَازٍ وَإِجمَالٍ».

(٣) مَثَلُ الْحَكِيمِ

وَلَمَّا سَمِعَ الْحَكِيمُ «آزَادُ» هَذَا الْمَثَلَ الَّذِي ذَكَرَهُ السُّلْطَانُ «مَحْمُودُ» لِبَنِيهِ، عَقَّبَ قَائِلًا: «عِنْدِي مَثَلٌ أَخْرَى مِمَّا تُبَصِّرُونَهُ بِأَعْيُنِكُمْ وَتَحْدُونَهُ فِي أَنْفُسِكُمْ، أَيْهَا الْأَبْنَاءُ النَّجَابُ». فَأَنْتُمْ – إِذَا أَنْعَمْتُمُ النَّظَرَ، وَأَعْمَلْتُمُ الْفَكْرَ، وَتَمَثَّلْتُمْ مَا أَبْدَعَهُ اللَّهُ فِي الْإِنْسَانِ مِنْ قُوَّى جَسِيمَةٍ، وَنَعْمَ عَظِيمَةٍ – وَجَدْتُمْ ثَلَاثَ آيَاتٍ أُخْرَ، ظَاهِرَةً لِكُلِّ ذِي عَقْلٍ وَبَصَرٍ، وَهِيَ الْجِسْمُ وَالرُّوْحُ وَالْعُقْلُ. فَإِذَا حَاوَلْتُمْ أَنْ تُفَاضِلُوا بَيْنَ ثَلَاثِ الْقُوَّى هَذِهِ، وَبَحَثْتُمْ: أَيْهَا أَجْدُرُ مِنْ غَيْرِهِ بِالْفَضْلِ وَالْإِيَّارِ، ضَلَّ مِنْكُمُ الْفَكْرُ وَأَحَثَارَ تَعَالَوْا فَانْظُرُوا، وَقَدَرُوا وَفَكَرُوا، ثُمَّ قَدَرُوا وَفَكَرُوا: مَا فَائِدَةُ الْجِسْمِ إِذَا فَارَقَتْهُ الرُّوْحُ؟ إِنَّ الْجِسْمَ إِذَا فَارَقَتْهُ الرُّوْحُ يُصْبِحُ – كَمَا تَعْلَمُونَ – جُثَّةً هَامِدَةً، لَا نُفْعَ فِيهَا وَلَا فَائِدَةَ.

وَلَنْ تَتَهَيَا لِلْإِنْسَانِ أَسْبَابُ الْحَيَاةِ وَالْبَقَاءِ، إِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْجِسْمِ وَالرُّوْحِ لِقاءً. ثُمَّ تَعَالَوْا فَانْظُرُوا، وَخَبَرُونِي بَعْدَ أَنْ تَنْعَمُوا النَّظَرَ، وَتُمْعِنُوا الْفَكْرَ: مَا قِيمَةُ الْحَيَاةِ بِلَا عَقْلٍ؟ وَمَا قِيمَةُ حَيٍّ أَصِيبَ ذَهْنُهُ بِالْأَخْتِلَالِ، وَاسْتَوَى عَلَيْهِ الْجُنُونُ وَالْخَيَالُ؟ ذَلِكَ مَثَلٌ مِنَ الْأَمْثَالِ، وَهُوَ – كَمَا تَرَوْنَ – وَاضِحُ الْمَعْنَى، قَوِيُّ الْمَغْرَى. فَتَدَبَّرُوهُ وَاعْتَبِرُوهُ بِهِ».

(٤) الْحَوَاسُ الْخَمْسُ

وَلَمَّا اتَّهَى الْحَكِيمُ «آزَادُ» مِنْ حَدِيثِهِ الرَّائِعِ، قَالَ السُّلْطَانُ «مَحْمُودُ»: «لِيَأْذَنَ لِي الْحَكِيمُ أَنْ أُضِيفَ إِلَى الْمَثَلِ الَّذِي سَاقَهُ شَيْئًا يُقَوِّيهِ: مَا قِيمَةُ الْجِسْمِ وَالرُّوْحِ وَالْعُقْلِ مُجْتَمِعَةً، إِذَا أَعْوَرَنَّهَا الْحَوَاسُ الْخَمْسُ؟» خَبَرُونِي: مَا قِيمَةُ الْحَيَاةِ إِذَا أَعْوَرَنَا السَّمْعُ وَالْبَصَرُ وَالشَّمُّ وَالذَّوْقُ وَاللَّمْسُ؟ كَيْفَ تَطِيبُ الْحَيَاةُ إِذَا اخْتَلَتْ حَاسَّةٌ مِنْ هَذِهِ الْحَوَاسِ أَوْ تَعَطَّلُتْ؟ وَخَبَرُونِي أَيْضًا: أَلَا تَرَوْنُ حَاجَةَ الْإِنْسَانِ إِلَى كُلِّ جَارِحةٍ مِنْ جَوَارِحِهِ؟ أَتَرَوْنَ لَوْ نَقَصَتْ وَاحِدَةٌ مِنْهَا أَوْ عَطَلَتْ، أَتَغُزِيَ غَنَاءَهَا الْجَوَارِحُ الْأُخْرُ؟

إِنَّ لِكُلِّ جَارِحَةً – كَمَا تَرَوْنَ – جَلِيلُ فَضْلِهَا، وَعَظِيمُ خَطْرِهَا، وَهَيْهَا أَنْ تَتَمَّ  
سَعَادَتُنَا بِدُونِهَا.

تَأْمَلُوا حَاجَةَ الْجِسْمِ إِلَى الْكَتْفِ!  
وَحَاجَةَ الْكَتْفِ إِلَى السَّاعِدِ!  
وَحَاجَةَ السَّاعِدِ إِلَى الْمِرْفَقِ!  
وَحَاجَةَ الْمِرْفَقِ إِلَى الْدُّرَاعِ!  
وَحَاجَةَ الدُّرَاعِ إِلَى الرُّسْغِ، وَهُوَ مَفْصِلٌ مَا بَيْنَ الدُّرَاعِ وَالْكَفِّ!  
وَحَاجَةَ الرُّسْغِ إِلَى الْكَفِّ!  
وَحَاجَةَ الْكَفِّ إِلَى الرَّوَاجِبِ، وَهِيَ مَفَاصِلُ أَصْوِلِ الْأَصَابِعِ!  
وَحَاجَةَ الرَّوَاجِبِ إِلَى الْأَصَابِعِ!  
وَحَاجَةَ الْأَصَابِعِ إِلَى السُّلَامِيَّاتِ، وَهِيَ عِظَامُ الْأَصَابِعِ، وَافْتِقَارُهَا – بَعْدَ ذَلِكَ – إِلَى  
الْأَنَاءِلِ، أَعْنِي رُؤُوسِ الْأَصَابِعِ!  
وَحَاجَةَ الْأَنَاءِلِ إِلَى الْأَظَافِرِ! وَهَكَذَا ...  
فَالْجَسْدُ فِي حَقِيقِتِهِ أَجْرَاءٌ يُكَمِّلُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَلَا عُنْيَةَ لِجُزْءٍ فِيهِ عَنْ جُزْءٍ، وَلَا  
يُسَمَّى الْجَسْدُ جَسْدًا صَحِيحًا إِلَّا بِتَكَامُلِ أَجْرَائِهِ، وَبِتَعَاوُنِهِ فِي أَدَاءِ وَظَالِفَهَا. وَمَتَى  
أَصَابَ الْأَضْطِرَابُ جُزْءًا مِنْهَا، احْتَلَ النِّظَامُ، وَدَبَّ السَّقَامُ.  
هَذَا يَا بَنِي شَانُ الْحَيَاةِ، قَوَامُهَا التَّحَاوُنُ، سَوَاءً أَكَانَ ذَلِكَ فِيمَا يَتَصَلُّ بِالْكَائِنِ الْحَيِّ،  
وَالْإِنْسَانُ الْفَرِدُ، أَمْ كَانَ فِيمَا يَتَصَلُّ بِالْجَمَاعَاتِ الَّتِي تَتَالَّفُ مِنْهَا الْأُمُّهُ، أَمْ كَانَ فِيمَا  
يَتَصَلُّ بِالْأُمُّمِ الَّتِي يَتَالَّفُ مِنْهَا الْعَالَمُ أَجْمَعُ.

#### (٥) مُجْتَمِعٌ مُتَكَامِلٌ

وَوَاصَلَ السُّلْطَانُ «مَحْمُود» حِدِيثَهُ قَائِلاً: «لَقَدْ تَجَلَّ لَكُمْ – مِمَّا سَمِعْتُمْ – فَضْلُ كُلِّ  
حَاسَّةٍ مِنْ حَوَاسِنَا، وَنَفْعُ كُلِّ جَارِحَةٍ مِنْ جَوَارِحِنَا، وَعِلْمُتُمْ شِدَّةَ حَاجِتَنَا إِلَى مُجْتَمِعٍ  
الْحَوَالَّ وَالْجَوَارِحِ؛ لَأَنَّ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ – فِي مُجْتَمِعِهَا – فَضْلًا تَسْتَأْثِرُ بِهِ، وَلَا يَنْهُضُ  
بِعِبْئِهِ سِوَاهَا.

فَنَحْنُ – كَمَا لَا يَخْفَى عَلَيْكُمْ – لَا نَمْشِي عَلَى أَرْجُلِنَا، وَلَا نَرَى  
بِأَذْنِنَا، بَلْ بِأَعْيُنِنَا؛ وَهَكُذا الشَّانُ فِي كُلِّ حَاسَّةٍ وَجَارَحةٍ.  
فَنَحْنُ لَا غَنِيَ لَنَا عَنِ الْحَوَاسِ وَالْجَوَارِحِ كُلُّهَا مُجْتَمِعَةٌ، كَمَا رَأَيْتُمْ: سُنَّةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ،  
وَلَنْ تَجِدَا لِسْنَةَ اللَّهِ تَبَدِّيلاً.

## (٦) مُجْتَمِعُ النَّاسِ

وَبَعْدُ هُنَيَّةٍ، قَالَ السُّلْطَانُ «مَحْمُود»: «مَا أَعْظَمَ وُجُوهَ الشَّبَهِ – أَيُّهَا الْأَبْنَاءُ الْأَعْزَاءُ –  
بَيْنَ مُجْتَمِعِ الْحَوَاسِ، وَمُجْتَمِعِ النَّاسِ! فَالْمُجْتَمِعُ الَّذِي نَعِيشُ فِيهِ أَشْبَهُ شَيْءٍ بِالْجَسْمِ الْوَاحِدِ، يَحْتَاجُ كُلُّ عُضُوٍّ مِنْ أَعْضَائِهِ  
إِلَى الْأَخْرِ، وَلَا يَسْتَطِعُ أَنْ يُؤَدِّيَ عَمَلُهُ بِمُفْرَدِهِ، دُونَ أَنْ يَسْتَعِينَ بِمَنْ حَوْلَهُ، كَمَا لَا  
يَسْتَطِعُ جَارَحَهُ مِنْ جَوَارِحِ الْجَسْمِ أَنْ تَعْمَلَ بِمُفْرَدِهَا، دُونَ أَنْ يَسْتَعِينَ بِغَيْرِهَا.  
وَتَمَتَّلُوا – بَعْدَ هَذَا – كَيْفَ تُصْبِحُ الْحَيَاةُ جَحِيْمًا تَتَقَدَّ وَتَسْتَعِرُ، إِذَا خَلَتِ مِنَ  
الْتَّعَاوِنِ الْمُتَمِّرِ؟!

وَالْأَمْثَلَةُ عَلَى مَا أَقُولُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصِيهَا الْعُدُّ، مَهْمَا يَطْلُبَ بِنَا نَفْسُ الْقَوْلِ وَيَمْتَدُ!»  
ثُمَّ رَفَعَ السُّلْطَانُ إِصْبَعَهُ السَّبَابَةَ، يُؤَكِّدُ قَوْلَهُ: «هَانُتُمْ أُولَاءِ عَرَفْتُمْ أَنْ لَا فَضْلَ  
لِنَفِيَّةِ وَاحِدَةٍ مِنْ نَفَائِسِكُمُ الْثَّلَاثِ فِي شَفَاءِ الْأَمِيرَةِ، وَإِنَّمَا يَرْجِعُ الْفَضْلُ إِلَى ثَلَاثِهَا  
مُجْتَمِعَةٌ مُتَكَامِلَةً.

وَقَدْ كَانَتْ هَدَايَاكُمُ الْقِيمَةُ النَّافِعَةُ أَشْبَهُ شَيْءٍ بِمَا أَسْلَفْتُ لَكُمْ بِيَانَهُ فِي مُجْتَمِعِ  
الْحَوَاسِ وَمُجْتَمِعِ النَّاسِ.

كَانَ لَهَا مِنَ الْأَكْثَرِ مِثْلُ مَا لِلشَّمْسِ وَالْمَاءِ وَالْهَوَاءِ، تَعْمَلُ مُجْتَمِعَةٌ عَلَى بَقَاءِ حَيَاةِنَا  
وَحَيَاةِ الْكَائِنَاتِ، مِنْ إِنْسَانٍ وَطَيْرٍ وَحَيَوانٍ وَنَبَاتٍ، فَإِذَا نَقَصَ مِنْهَا عُنْصُرٌ وَاحِدٌ ضَاعَتْ  
فَائِدَتُهَا، وَبَطَلَ جَدْوَاهَا وَنَفْعُهَا.

وَأَنْتُمْ – أَيُّهَا الْأَبْنَاءُ الْأَذْكَيَاءُ – شَأْنُكُمْ عِنْدِي كَشَانٌ هَذِهِ النَّفَائِسِ الْثَّلَاثِ، وَمَا  
يُشْهُدُهَا مِنْ أَعْصَاءِ الْجَسْمِ، وَقُوَّى الطَّبَيْعَةِ، وَعَانَاصِرِ الْكَائِنَاتِ. إِلَّا مِنْكُمْ بِمَا قَدَّمَ لِابْنَةِ  
عَمِّهِ الْأَمِيرَةِ، مَنْزَلَةٌ مَذْكُورَةٌ، وَمَكْرُمَةٌ مَأْثُورَةٌ. وَلَوْ أَنِّي قَرَرْتُ أَنْ تَكُونَ ابْنَةُ عَمِّكُمْ لِأَحَدِكُمْ

دُونَ أَخْوَيْهِ الْأَخْرَيْنِ، لَكُنْتُ فِي الْحَقِّ طَالِمًا لِهَذِينَ الْأَخْوَيْنِ، وَأَنْتُمْ لَا تَقْبِلُونَ مِنِّي أَنْ أَكُونَ لِأَحَدٍ مِنْكُمْ ظَالِمًا، وَقَدِ اتَّخَذْتُمُونِي بَيْنَكُمْ حَاكِمًا. لَمْ يَبْقَ أَمَامِي — بَعْدَ هَذَا — إِلَّا أَنْ تُشِيرُوا عَلَيَّ بِمَا تَحْتَارُونَ، وَتَقْتَرُّهُوا مَا تَشَاءُونَ؛ فَلَنْ أَرْدَ لَكُمْ مَطْلَبًا، وَلَنْ أُخْبِرَ لَكُمْ مَأْرِبًا».

فَقَالَ الْأَمِيرُ «حُسَيْنٌ» بِاسْمِهِ وَبِاسْمِ أَخْوَيْهِ: «لَا رَأْيَ لَنَا يَا أَبْتَاهُ، إِلَّا مَا تَرَاهُ، وَلَا مَأْرَبَ لَنَا فِي سَوَادِهِ. فَقَرَرْتُ مِنَ الْأَمْرِ مَا تَشَاءُ، وَلَكَ مِنَ السَّمْعِ وَالطَّاغِعَةِ، وَعَلَيْنَا لَأَنْ نُهَمِّلَ تَنْفِيذَ أَمْرِكَ وَاتَّبَاعِهِ».

## (٧) افتراءُ السُّلْطَانِ

فَقَالَ السُّلْطَانُ «مَحْمُودٌ»: «بَارَكَ اللَّهُ فِيْكُمْ وَهَدَاكُمْ وَحَقَّ آمَاكُمْ وَسَدَّدَ خُطَاكُمْ. وَالرَّأْيُ عِنْدِي أَنْ أَسْلُكَ — فِي الْحُكْمِ بَيْنَكُمْ — طَرِيقًا أَرْجُو أَنْ تُحَقِّقَ رَغْبَاتِكُمْ وَتُرْضِي أَمْنِيَاتِكُمْ». فَابْتَدَرَهُ الْأُمَرَاءُ الْتَّلَاثَةُ قَائِلِينَ بِلِسَانِ الْأَمِيرِ «حُسَيْنٌ»: «كُلُّ مَا يَرَاهُ الْوَالِدُ حَسَنٌ جَمِيلٌ، لَا نَحِيدُ عَنْهُ — قِيدَ شَعْرَةٍ — وَلَا نَمِيلُ؛ فَاقْضِ فِي أَمْرِنَا بِمَا تَرَاهُ، فَلَنْ تَحْتَارَ رَأْيَا سَوَادِهِ».

فَقَالَ السُّلْطَانُ «مَحْمُودٌ»: «أَنْتُمْ أَمْهُرُ أَهْلِ عَصْرِكُمْ فِي فُنُونِ الصَّيْدِ وَالرِّمَايَةِ، وَأَخْرُوهُمْ خَبْرَةً بِهَا وَأَوْفَرُوهُمْ دِرَايَةً. وَفَضْلُكُمْ فِيهَا مَشْهُورٌ فِي كُلِّ مَكَانٍ، مَذْكُورٌ عَلَى كُلِّ لِسَانٍ. وَالرَّأْيُ عِنْدِي أَنْ يَدْهَبَ تَلَاتُكُمْ إِلَى حَلْبَةِ السَّبَاقِ، وَمَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ قَوْسُهُ وَسِهَامُهُ، ثُمَّ يُطْلِقُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ سَهْمًا، لِنَرَى: أَيُّكُمْ أَشُدُّ عَزْمًا، وَأَبْعَدُ مَرْمَمِي؟ فَأَيُّكُمْ تَفَوَّقَ فِي الرِّمَايَةِ عَلَى أَخْوَيْهِ، وَقَعِ الْأَخْتِيَارُ عَلَيْهِ، وَأَصْبَحَتِ الْأُمَيْرَةُ مُلْكَ يَدِيهِ. فَمَاذَا تَرَوْنُ — أَيُّهَا الْأَبْنَاءُ الْفُضَلَاءُ — فِيمَا أَرَاهُ لَكُمْ؟ وَكَيْفَ تَقُولُونَ فِيمَا أَقْتَرُهُ عَلَيْكُمْ؟»

فَقَالَ الْأُمَرَاءُ الْتَّلَاثَةُ، بِلِسَانِ الْأَمِيرِ «حُسَيْنٌ»: «مَا أَحْكَمَ التَّفْكِيرَ، وَأَعْدَلَ التَّدْبِيرَ! لَا رَأْيَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، وَلَا قَضَاءً إِلَّا مَا قَضَيْتَ إِنَّا لَهُذِهِ الْمُبَارَأَةِ قَايِلُونَ، وَبِتَتِيجَتِهَا رَاضُونَ».

(٨) في حَلْبَةِ السَّبَاقِ

ثُمَّ حَرَّجَ الْأَمْرَاءُ التَّلَاثَةُ إِلَى حَلْبَةِ السَّبَاقِ يَتَقَدَّمُهُمُ السُّلْطَانُ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِمْ سَوَادُ الْأَهْلِينَ صُفُوفًا مُتَرَاصَةً، لِيَشْهُدُوا الْمُبَارَأَةَ فِي الْمَيْدَانِ.

ثُمَّ أَطْلَقَ ثَلَاثَةُ الْأَمْرَاءِ، سَهَامُهُمْ فِي الْفَضَاءِ؛ بَعْدَ أَنْ حَرَصَ كُلُّ مِنْهُمْ عَلَى أَنْ يَنْتَلِقَ سَهْمَهُ إِلَى أَقْصَى مَدَى؛ فَكَانَ سَهْمُ الْأَمْرِيْرِ «عَلَيْ» أَبْعَدَ السَّهَامِ مَرْمَى.. وَاسْتَحْقَ بِذَلِكَ دُونَ أَخْوَيْهِ زَوَاجَ الْأَمْرِيْرِ «نُورُ النَّهَارِ».

وَهُكُمَا كَانَ ظَفَرُهُ بِأَبْنَى عَمِّهِ نَتِيْجَةً لِكِفَايَتِهِ، وَثَمَرَةً لِمَهَارَتِهِ، وَلَمْ يَظْفَرْ بِهَا عَفْوًا بِوَسِيلَةِ الْقُرْعَةِ الْعَمِيَّاءِ، أَوْ بِمُسَاعَدَةِ الْحَظِّ الْمَجْهُولِ. وَخَيْرُ الْجَوَائزِ وَأَعْدَلُهَا مَا كَانَ ثَمَرَةً لِلتَّنَافِسِ الْكَرِيمِ.

(٩) نَصِيبُ الْأَخْوَيْنِ

وَرَضِيَ الْأَمْرِيْرُ الشَّقِيقِيَّانِ بِفُوزِ أَخِيهِمَا عَنْ جَدَارَةِ وَاسْتِحْقَاقِ، وَهَنَّاهُ بِمَا أَحْرَزَهُ مِنْ فُوزٍ مَحْيِيٍّ، وَدَعَوَا اللَّهَ أَنْ يُبَارِكَ لَهُ فِي زَوَاجِهِ السَّعِيدِ.

وَالْتَّفَتَ السُّلْطَانُ إِلَى وَلَدِيْهِ الْأَمْرِيْرِينَ «حُسَيْنٍ» وَ«أَحْمَدًا»، فَابْتَدَرَهُمَا قَائِلًا: «بَقِيَ عَلَيَّ الْأَنَّ أَنْ أَخْيِرَ وَلَدِيَ الْعَزِيزَيْنِ، بَيْنَ أَمْرَيْنِ: أَيُّكُمَا يُحِبُّ أَنْ يَتَوَلَّ الْمُلْكَ بَعْدَ أَبِيكُمَا؟ وَأَيُّكُمَا يُفَضِّلُ أَنْ يَسْتَأْثِرَ بِمَا ظَفَرَ بِهِ الْإِخْوَةُ التَّلَاثَةُ مِنْ ثَلَاثَةِ الْكُنُوزِ؟

فَلْيُوَازِنْ كَلَامُكُمَا فِي تَفْكِيرٍ وَرَوْيَةٍ بَيْنَ هَذَيْنِ، وَلِيُخْتَرْ مَا شَاءَ مِنْ الْأَمْرَيْنِ». فَقَالَ الْأَمْرِيْرُ «أَحْمَدُ» لِأَبِيهِ السُّلْطَانِ: «سَعِدْتُ أَيْهَا الْوَالِدُ الرَّحِيمُ، وَطَالَ بَقَاؤُكَ. لَقَدْ أَرْدَتَ لَا يَسْتَأْثِرَ الْأَمْرِيْرُ «عَلَيْ» بِالسُّرُورِ، لِظَفَرِهِ بِزَوْجِهِ الْأَمْرِيْرِ «نُورِ النَّهَارِ»، وَهِيَ كَنْزٌ مَعْنُوِيٌّ؛ فَأَرْدَتَ أَنْ يَكُونَ لَنَا مِنَ السُّرُورِ مِثْلُ مَا لَهُ، فَعَرَضْتَ عَلَيْنَا خِلَافَةَ الْمُلْكِ، وَالْكُنُوزَ التَّلَاثَةَ. وَأَنْتَ بِحِكْمَتِكَ وَنَافِذَ بَصِيرَتِكَ، أَقْدَرْتَ عَلَى أَنْ تَخْتَارَ لِكُلِّ مِنَّا مَا تَرَاهُ الْأَصْلَحَ وَالْأَوْفَقَ..».

وَقَالَ الْأَمْرِيْرُ «حُسَيْنٌ»: «لِكُلِّ مِنَ النَّصِيبَيْنِ مَزِيَّةٌ عَظِيمَةٌ، لَا يُنْكِرُهَا ذُو رَأْيٍ صَائِبٍ، وَمَنْزِلَةٌ حَلِيلَةٌ لَا يَجْحَدُهَا مَنْ لَهُ نَظَرٌ ثَاقِبٌ، وَإِنَا بِاْخْتِيَارِكَ رَاضِيَانِ، وَلِرَأْيِكَ مُنْفَذَانِ؛ فَلَتَكِنِ الْخِيرَةُ وَالرَّأْيُ لَكَ يَا أَبَتَاهُ».



الإخوة يتبارون في إطلاق السهام.

فقال السلطان «محمود» للأمير «أحمد»: «أنت - كما تعلم - أصغر أولادي، ولك شباب مرجو المستقبـل. والشباب ربـيع العـمر، وذخـيرـة العـد، وـهـوـ فـسـحةـ الـأـمـلـ، وـعـدـةـ الـجـهـادـ وـالـبـنـاءـ وـالـعـمـلـ، ولـذـلـكـ أـخـتـارـ لـكـ يـاـ بـنـيـ أـنـ تـخـلـفـنـيـ عـلـىـ لـوـلـيـةـ الـبـلـدـ وـقـيـادـةـ الـأـمـةـ، لـيـكـونـ لـلـوـطـنـ الـعـزـيزـ مـنـ شـبـاـكـ قـوـةـ وـفـتـوـةـ، وـهـمـةـ وـعـزـمـةـ». والتفت السلطان إلى الأمير «حسين» فـأـلـلـاـ: «أـنـتـ أـكـبـرـ الـإخـوةـ، وـأـنـاـ أـخـتـارـ لـكـ ثـلـاثـةـ الـكـنـوزـ، لـتـحـسـنـ الـإـنـتـقـاعـ بـهـاـ مـاـ اـسـتـطـعـتـ، بـمـاـ أـوـتـيـتـ مـنـ وـفـورـ عـقـلـ، وـبـعـدـ نـظـرـ، مـتـوـحـيـاـ فيـ كـلـ عـمـلـكـ، مـصـلـحـةـ النـاسـ مـنـ حـوـلـكـ».

(١٠) مَشْوَرَةُ الْحَكِيمِ

ثُمَّ قَالَ السُّلْطَانُ لِبَنِيهِ التَّلَاثَةَ: «مَا كَانَ لَنَا، وَقَدْ رَأَيْنَا الرَّأْيَ، وَأَعْمَلْنَا فِيهِ الْعَقْلَ وَالْتَّدْبِيرَ، أَلَا سَأَلَ حَكِيمَنَا «آزَادَ»، لِيُبَدِّيَ لَنَا مَشْوَرَتَهُ فِيمَا ارْتَأَيْنَاهُ.. وَمَا حَابَ مَنِ اسْتَشَارَ، وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ!»

فَقَالَ الْأَشْقَاءُ التَّلَاثَةُ، بِلِسَانِ أَخِيهِمُ الْأَكْبَرِ الْأَمِيرِ «حُسَينِ»، كَمَا تَعَوَّدُوا — بِأَدِبِهِمُ الْجَمِّ — أَنْ يُبَيِّبُوهُ عَنْهُمْ فِي التَّكَلُّمِ بِلِسَانِهِمْ: «إِنَّ الْمَشْوَرَةَ يَا أَبْتَاهُ كَسْبٌ عَظِيمٌ، وَقَدْ عَوَدَنَا الْحَكِيمُ «آزَادُ» أَنْ يُسْدِي إِلَيْنَا النُّصْحَ الثَّمِينَ، فَلَهُ عَقْلٌ وَتَجْرِبَةٌ، وَهُوَ يَتَأَمَّلُ فِي الْأَمْوَرِ تَأْمُلَ عَارِفٍ خَيْرِ».

وَلَمَّا سُتِّلَ الْحَكِيمُ «آزَادُ» فِيمَا رَأَهُ السُّلْطَانُ «مَحْمُودُ» مِنْ اخْتِيَارِ ابْنِهِ الْأَمِيرِ «أَحْمَدَ»، لِيَخْلُفَهُ عَلَى وِلَايَةِ الْحُكْمِ، وَإِيَّثَارِ ابْنِهِ الْأَمِيرِ «حُسَينِ» بِثَلَاثَةِ الْكُنُوزِ، مَسَحَ الْحَكِيمُ «آزَادُ» جَبْهَتَهُ بِيَدِهِ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السُّلْطَانِ «مَحْمُودِ» قَائِلًا: «لَقَدْ اجْتَهَدْتَ فِي التَّفْكِيرِ وَالْتَّدْبِيرِ، حَتَّى هُدِيْتَ إِلَى خُطْبَةِ حَكِيمَةٍ، وَاحْتِيَارِ مُوْفَقٍ، وَهَذَا كُلُّ مَا فِي وُسْعِكَ، وَغَایَةُ مَا فِي ذِرْعِكَ، وَلَكِنْ لِي كَلِمَةً أُرِيدُ أَنْ أَخْصَّ بِهَا وَلَدِيْكَ».

وَسَكَتَ سَكْتَةً قَصِيرَةً، ثُمَّ وَجَهَ نَظَرَهُ إِلَى الْأَمِيرِ «حُسَينِ» وَالْأَمِيرِ «أَحْمَدَ» قَائِلًا لَهُمَا: «لِكُلِّ مِنْكُمَا التَّهْبِيَّةُ بِمَا نَالَ، وَلَكِنْ عَلَى كُلِّ مِنْكُمَا أَنْ يُبْتَتِ جَدَارَتَهُ وَكَفَائِتَهُ، حَتَّى يُحَقَّقَ حُسْنُ الظَّنِّ بِهِ، وَصَدِقَ الْأَمْلِ فِيهِ».

فَقَالَ لَهُ الْأَمِيرُ «حُسَينُ»: «أَمَّا أَنَا فَأَعْاهِدُ أَبِي وَأَعْاهِدُكَ عَلَى أَنْ أَصْنُونَ الْكُنُوزَ التَّلَاثَةَ مِنَ الْعَبْثِ، وَأَحْفَظُهَا مِنَ الضَّيَاعِ، وَلَا أَسْتَخِدُهَا إِلَّا فِي سَبِيلِ الْخِدْمَةِ الْعَامَّةِ، وَمِنْ أَجْلِ نَفْعِ النَّاسِ جَمِيعًا، وَلَا أَسْتَغْلِلُهَا لِمَغْنِمٍ شَخْصِيِّ، أَوْ مَأْرِبٍ غَيْرِ شَرِيفٍ».

فَرَبَّتِ الْحَكِيمُ «آزَادُ» كَتْفَهُ، وَقَالَ لَهُ: لَقَدْ أَثْلَجْتَ صَدْرِي بِمَا أَسْمَعْتَنِي إِيَّاهُ، وَعَلَيْكَ أَنْ تَقِيَ بِوَعِدِكَ، وَلَا تُفَرِّطَ فِي عَهْدِكَ».

وَقَالَ الْأَمِيرُ «أَحْمَدُ»: «وَكَذَلِكَ أَنَا أَعْاهِدُ أَبِي وَأَعْاهِدُكَ، أَيُّهَا الْحَكِيمُ الْمُوْقَرُ، عَلَى أَنِّي إِذَا وُلِّيْتُ الْحُكْمَ، جَعَلْتُ الْعَدْلَ مِيزَانِي، وَتَوَحَّيْتُ مَا فِيهِ مَصْلَحَةُ الْجِمِيعِ؛ حَتَّى تَتَحَقَّقَ بَيْنَ أَهْلِ الْوَطَنِ كُلُّهُمْ مُسَاوَةٌ وَكَرَامَةٌ، وَيَشْعُرُ كُلُّ مِنْهُمْ أَنَّ جُهْدَهُ لِوَطَنِهِ، وَأَنَّ خَيْرَ وَطَنِهِ لَهُ، وَيَحْيَا الْجَمِيعُ فِي وِئَامٍ وَسَلَامٍ».

فَقَالَ الْحَكِيمُ «آزَادُ»: «بُورْكَتْ – أَيُّهَا الْأَمِيرُ «أَحْمَدُ» – مِنْ فَتَّى شَهْمٍ هُمَّامٍ، وَأَرْجُو  
أَنْ يَبْلُغَ بِكَ الْوَطْنُ آمَالَهُ الْجِسَامَ»  
وَشَكَرَ السُّلْطَانُ «مَحْمُودُ» لِلْحَكِيمِ «آزَادَ» مَا أَسْدَى مِنْ نُصْحٍ عَظِيمٍ، وَإِرْشَادٍ كَرِيمٍ.  
وَطَابَتْ نَفْسُ الْأَمِيرِ «أَحْمَدَ» بِأَنْ يَخْلُفَ أَبَاهُ فِيمَا يَتَوَلَّهُ مِنْ مُهَمَّةِ الْحُكْمِ فِي الْبَلَادِ.  
وَقَرَّتْ عَيْنُ الْأَمِيرِ «حُسَيْنٌ» بِأَنْ تَكُونَ الْكُنُوزُ الْثَلَاثُّ فِي حَوْرَتِهِ، يُصَرِّفُ اسْتِخْدَامَهَا  
بِحِكْمَتِهِ.

وَهَكَّدَا فَرَحَ كُلُّ مِنَ الْأَمْرَاءِ الْأَشْقَاءِ، بِمَا ظَفَرَ بِهِ مِنْ نِصْبٍ، وَكَانُوا يَتَنَاصِرُونَ  
فِي الْخَيْرِ، وَيَتَعَاوَنُونَ عَلَى الْبَرِّ، وَيَتَبَادِلُونَ أَخْلَصَ الْحُبُّ وَأَعْمَقَهُ، وَأَجْمَلَ الْوُدُّ وَأَصْدَقَهُ،  
وَتَحَقَّقَتْ لَهُمْ أَسْعَدُ الْأَكْمَالِ، فَقَضَوْا حَيَاتَهُمْ فِي أَرْغَدِ عَيْشٍ وَأَهْنَى بَالِ.. وَصَافَتْ لَهُمُ الْأَوْقَاتُ،  
وَحَالَفُتُّهُمُ الْبَهَجَاتُ وَالْمَسَرَّاتُ، فَعَاشُوا أَيَّامَهُمْ فِي ثَبَاتٍ وَنَبَاتٍ، وَخَلَفُوا الصَّبِيَّانَ وَالْبَنَاتِ،  
وَوَفَّقُهُمُ اللَّهُ فِي الْغَدَوَاتِ وَالرَّوَحَاتِ.